علم البيان

في

البلاغة العربية

المرحلة الثانية- الكورس الأول

إعداد

أ. م. د. أيوب آدم رسول البرزنجي

1436هـ - 2014م

المقدمة

الحمد لله الذي خلق الإنسـان وعلمه البيان، وأصـلي وأسـلم على خير خلق الله أجمعين، سـيدنا وحبيبنا محمد بن عبد الله المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله الطيبين الطاهرين وصحبه الغر الميامين، ذلك النبي الذي أوتي جوامع الكلم فجاء بيانه أفصح بيان.

وبعد...

فهذه محاضرات في علم البلاغة العربية ألقيتها في قسـم اللغة العربية، كلية التربية- شـقلاوة، بجامعة صـلاح الدين/ أربيل، وتناولت فيها عدة فنون بلاغية من علم البيان، راعياً فيها السـهولة والوضـوح ليكون في متناول الطلاب فهم ما جاء فيها واستيعابه.

أسـأل الله سـبحانه وتعالى أن ينفعنا بها، وأن يجنبنا الزلل في القول العمل، وأن يرزقنا الصـواب والسـداد، وأن يمنحنا من فضـله العون والتوفيق والهداية، وأسـأله أن يجعلها صدقة جارية، وذخيرة ليوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

أ. م. د. أيوب آدم البرزنجي

أولاً: مراحل نشأة البلاغة وتطوّرها في أربع مراحل:

المرحلة الأولى: دراسات عامّة في إعجاز القرآن الكريم والأدب العربي:

تبدأ هذه المرحلة بكتاب (مجاز القرآن) لأبي عبيدة معمر بن المثنى (208هـ)، ثمّ (البيان والتبيين) للجاحظ (255هـ)، وتصل إلى رسائل الإعجاز المشهورة مثل (إعجاز القرآن) للباقلاني (403هـ)، وكتب النقد والأدب التي من أشهرها: (نقد الشعر) لقدامة بن جعفر (337هـ)، و(كتاب الصناعتين) لأبي هلال العسكري (395هـ).

المرحلة الثانية: نظرية النظم وتأسيس القواعد العامة:

وفيها وضع الإمام عبد القاهر الجرجاني (471هـ) القواعد الأساسية لعلم البلاغة من خلال الحديث عن نظرية (النظم) في كتابه (دلائل الإعجاز) و(أسرار البلاغة)، وحاول الزمخشري (538هـ) تطبيق هذه القواعد من خلال تفسيره (الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل).

المرحلة الثالثة: ترتيب القواعد:

وفيها وضع أبو يعقوب السَّكَّاكي (626هـ) المعايير الأساسية لقواعد علم البلاغة بعد تلخيصها وترتيبها في كتابه المشهور (مفتاح العلوم)، كما ذل الخطيب القزويني (739هـ) جهوداً كبيرة في تهذيب ما ذكره البلاغيون وترتيبه بطرائق ميسورة من خلال كتابيه (تلخيص المفتاح) و(الإيضاح).

المرحلة الرابعة: البلاغة في عصر الحديث:

انتشرت في العصر الحديث كتبٌ في البلاغة حاولت تيسير موضوعاتها، وتبسيط مسائلها كان من أشهرها: (جواهر البلاغة) لأحمد الهاشمي (1934م)، و(البلاغة الواضحة) لعلي الجارم (1949م) ومصطفى أمين (1997م). كما اتَّجهت دراسات كثيرة إلى البحث في سبل تجديد البلاغة، وربطها بالدراسات الأسلوبية الحديثة، من أبرزها: (منهاج تجديد) لأمين الخولي (1977م)، و(الأسلوب) لأحمد الشايب (1976م).

ثانياً: الفصاحة

تعريف الفصاحة لغة واصطلاحا:

الفصاحة لغة: الظهور والبيان.

ومثال ذلك قوله تعالى حكاية عن موسى عليه السلام: {وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا} [القصص:34] أي: أبين منِّي منطقاً وأظهر منِّي قولاً.

ويقال: أفصح الصِّبي: إذا بان وظهر كلامه.

ويقال: أفصح الأعجمي: أي أبان حاجته واستطاع التعبير.

ويقال: أفصح الصبح: إذا أضاء ولمع. ومنه المثل المشهور: «أفصح الصبح لذي عينين».

ومنه قولهم: أفصــح اللبن: أي زالت الرَّغوة وظهر الحليب. ومنه المثل المشــهور: «وتحت الرغوة اللبن الفصيح».

الفصاحة اصطلاحا: عبارة عن الألفاظ الظاهرة البيّنة، المأنوسة في الاستعمال، السلسة على اللسان، القريبة إلى الفهم.

والمأنوس: هو الواضح الظاهر الذي لا يعرقل فهم السامع أو يشوش عليه.

والفصاحة يُوصَفُ بها الكلمة، والكلام، والمتكلِّم.

فصاحة الكلمة:

اشترط علماء البلاغة لفصاحة الكلمة أن تسلم من عيوب ثلاثة هي:

1- تنافر الحروف، وهي الحروف المتقاربة في مخرجها.

والتنافر نوعان:

أ- تنافر خفيف، كلفظ «مُسْتَشْزِراتٌ» في قول امرؤ القيس:

غدائِرُه مُسْتَشْزِراتٌ إِلى العُلا...تَضِلّ العِقاصُ في مُثَنَّى وَمُرْسَلِ[1]

ومعنى «مستشزرات»: مرتفعات أو مرفوعات.

وَالشَّاهِد فِي الْبَيْت التنافر وَهُوَ لَفْظَة (مُسْتَشْزِراتٌ) لثقلها على اللِّسَان وعسر النُّطْق بهَا.

فلا يكاد اللسان يتحرك بالحرف حتى ينتقل إلى حرف آخر قريب من مخرجه من الأول، وهو أمر صــعب على اللســان، ومن هنا رأى البلاغيون أن الكلمة الفصــيحة هي التي تتباعد مخارج حروفها، وتريح حركة اللسان.

(1)- وَمعنى الْبَيْت أَن حبيبته لِكَثْرَة شعرهَا بعضه مَرْفُوع وَبَعضه مثنى وَبَعضه مُرْسل وَبَعضه معقوص ملوي بَين الْمثنى والمرسل.

ب- تنافر شـــديد: كلفظ «الهُعْخُع» كما روي أن أعرابيًّا ســئل عن ناقته فقال: تركتها ترعى الهُعْخُع.

ومعنى «الهُعْخُع»: وهو نبت ترعاه الإبل.

وَالشَّاهِد فِي النص التنافر وَهُوَ لَفْظَة (الهُعْخُع) لثقلها على اللِّسَان وعسر النُّطْق بهَا.

2- غرابة اللفظ: أي أن تكون الكلمة وحشية غير ظاهرة المعنى:

ويكون ذلك لسببين:

أ- عدم تداول الكلمة في لغة العرب الخلص، فيحتاج إلى المعاجم للبحث عن معناه.

ومثال ذلك لفظ «جُؤشوشٍ» في قول البحتري:

فَلا وَصلَ إلا أن يُطيفَ خَيالُها ... بِنا تَحتَ جُؤشوشٍ مِنَ اللَيلِ مُظلم

ومعنى «جُؤشوش»: القطعة من الليل.

وَالشَّاهِد فِي البيت غرابة اللفظ وَهُوَ لَفْظَة (جُؤشوش).

وكقول عيسى بن عمرو النحوي، وقد زلقت رجله فوقع أرضاً، فتجمَّع عليه الناس:

مالكم تكأكأْتُم عليَّ كَتَكَأكُئكُم على ذي جِنَّة؟ افْرَنْقِعوا عنِّي.

معنى الكلمات: (تكأكأْتُم): تجمعتم، (ذو جِنَّة): مجنون، (افْرَنْقِعوا) انصرفوا وتفرقوا.

ب- ما يوجب حيرة السـامع في فهم المعنى المقصـود من الكلمة، لترددها بين معنيين أو أكثر بلا قرينة.

ومثال ذلك لفظ «مُسرَّج» في قول رؤبة بن العجاج:

وَمُقلَةً وَحاجِباً مُزَجَّجا ... وَفاحِماً وَمَرسِناً مُسَرَّجا

معنى الكلمات: (المُقْلَة): العَيْنُ كلُّها، (المزجَّج): الطويل المرقَّق، (المَرْسِن المسرَّج): الأنف الحسن الذي هو كالسيف في الدقة والاستواء.

وقد عاب البلاغيون على الـشاعر ا ستخدامه لكلمة (المـسَرّج) في و صف الأنف، وهي كلمة غريبة في اللفظ والاستعمال.

3- مخالفة القياس: وذلك بأن يكون اللفظ مخالفاً للقياس الصرفي المعروف في لغة العرب:

ومثال ذلك لفظ «الأجلَلِ» في قول أبي النجم:

الحمدُ للهِ العليِّ الأَجْلَلِ... الواحدِ الفردِ القديمِ الأولِ.

فقوله: (الأجلل) غير فصـيح؛ لأنه مخالفٌ للقياس الصرـفي: والنطق الصـحيح للكلمة هو (الأَجِلِّ) بالإدغام ولا مسوغ لفكه.

ومن ذلك لفظ «بوقات» في قول المتنبي يمدح سيف الدولة:

فإنْ يكُ بعضُ الناسِ سيفًا لدولةٍ... ففي الناسِ بُوقاتٌ لها وطبولُ.

فكلمة (بوق) تجمع على (أبواق)، ومن الخطأ جمعها على (بوقات).

فصاحة الكلام:

فصاحة الكلام: سلامته بعد فصاحة مفرداته مما يبهم معناه، ويحول دون المراد منه.

وقد اشترط علماء البلاغة لفصاحة الكلام أن يسلم من ثلاثة عيوب هي:

1- تنافر الكلمات: هو وصف في الكلمات مجتمعة يوجب ثقلها على اللسان، وعسر النطق بها، وهو نوعان:

أ- بتكرار حرف أو حرفين من كلمة في الشعر أو النثر:

كقول الأعشى:

وقد غَدَوتُ إلى الحانوتِ يَتبَعُني... شاوٍ مِشَلٌّ شَلولٌ شُلشُلٌ شَوِلُ.

معنى الكلمات: (الحانوت): دكّان الخمّار، (شاوٍ): الذي يشوي اللحم، (المشل شلول): سائق ناهر، (شلشل): الخفيف السريع، (شول): يحمل الشيء.

وكقول الشاعر:

وقبرُ حَرْبٍ بمكانِ قَفْرٍ... وليسَ قُرْبَ قَبْرِ حَرْبِ قَبْرُ.

وتنافر هذه الكلمات ناتج عن تقارب الحروف في ألفاظها، فكلمة (قبر)، و(حرب)، و(قرب) كلمات فصيحة خفيفة على اللسان، لا يجد فيها الإنسان صعوبة في النطق بها، ولكن ضمّها وتأليفها هذا التأليف المتشابك، هو الذي أكسبها الثقلَ ومجانبةَ الفصاحةِ.

ب- بإيراد أفعال يتبع بعضُها بعضاً بدون عطف، سواء اختلفت بين المضي والاستقبال.

كقول القاضي الأرجاني يصف الشمع:

بالنار فرَّقَتِ الحوادثُ بيننا... وبها نَذَرْتُ أعودُ أقتلُ روحي.

الأفعال المتتالية بدون عطف: (نذرتُ) و(أعودُ) و(أقتلُ).

2- ضَعْفُ التأليف:

وضعف التأليف يكون بخالفة القوانين النحوية المشهورة عند جمهور النُّحاة.

ومثال ذلك قول أحدهم: (ضَرَبَ غلامُهُ زيداً).

فهذا المثال بعيدٌ عن الفصاحة لضعف تأليفه؛ لأن الضمير عند أغلب النحاة لا يجوز أن يتقدَّم ويتأخر عنه الاسم الذي يدلُّ عليه، وقد أجاز بعضهم في حالات خاصّة.

وكقول سليط بن سعد:

جزى بَنُوهُ أبا الغَيْلانِ عن كِبَرٍ... وحُسْنِ فِعلٍ كما يُجْزَى سِنِمَّارُ.

فالضمير (بنوه) في الشطر الأول من البيت عائدٌ على (أبا الغيلان)، وهو متأخرٌ في اللفظ، ومتأخرٌ في الرتبة لأنه مفعول به.

3- التعقيد:

التعقيد: هو أن يكون الكلام غير ظاهرَ الدلالة على المعنى المقصود لخلل واقع فيه.

وهو نوعان:

1- التعقيد اللفظي: تقديم كلماتٍ أو تأخيرها عن مواضعها الأصلية.

مثل: ما قَرَأ إلّا واحداً سليمٌ مع كتاباً أخيه.

إن هذا الكلامَ غير فصيح لتعقيده الشديد، إذ أصله: (ما قرأ سليمٌ مع أخيه إلّا كتاباً واحداً).

فَقُدِّمَت الصفة على الموصوف، وفصل بين المتلازمين، وهما أداة الاستثناء والمستثنى، والمضاف إليه.

2- التعقيد المعنوي: هو أن يتعمد المتكلم إلى التعبير عن معنىً، فيستعمل كلماتٍ في غير معانيها الحقيقة، لا تؤدي إلى المعنى المراد، فيختلّ التعبير، ويلتبس الأمر على السامع.

مثل: نشر الحاكمُ ألسِنَتَهُ في المدينة.

مُريداً جواسيسه، والصواب نشر عيونه.

فصاحة المتكلم:

فصاحة المتكلم هي ملكة أو صفة قائمة في نفس المتكلم، يستطيع بها أن يعبر تعبيراً صحيحاً عما يجول في خاطره من الأغراض، وهذه الملكة تتكون بكثرة الاطلاع، وطول الممارسة والثقافة الواسعة.

ويلاحظ أن البليغ يحتاج إلى:

1- الطبع والموهبة، والذهن الثاقب، والخيال الخصب، وهذه صفات خلقية.

2- الثقافة اللغوية والنحوية، ومعرفة أحوال النفوس البشرية وطبائعها، وإلمام بما يحيط به.

ثالثاً: البلاغة

<u>تعريف البلاغة:</u>

<u>البلاغة لغة:</u> الوصول والانتهاء.

يقال: بلغ فلان مراده، إذا وصل إليه.

وبلغت القاهرة: أي وصلت إليها، وبلغ القارئ نهاية الكتاب: أي وصل.

فتكون الترجمة الفعلية للمعنى اللغوي لعلم البلاغة: هي الكلام الذي يصـــل إلى الناس وينتهي إلى مكان جيد لدى المتلقي.

فإذا كانت البلاغة: هي الوصـــول والانتهاء، فالكلام البليغ من الناحية اللغوية: هو الكلام الذي ينتهي إلى القلب والعقل ويفهم ويتأثر به.

البلاغة اصطلاحا:

عرف الرمّاني (386هـ) البلاغة في رسالته (النكت في إعجاز القرآن) فقال: **البلاغة هي إيصال المعنى إلى القلب، في أحسن صورةٍ من اللفظ.**

فهدف البلاغة هو توصـــيل المعاني إلى القلوب، والتأثير في نفوس المخاطبين، وذلك باختيار الأســـاليب البلاغية المناســـبة، والألفاظ الفصـــيحة، وأن يكون الكلام جميلاً في ألفاظه ومعانيه، مُحكمَ التأليف، حسن النَّظم.

وقال الخطيب القزويني (739هـ): **بلاغة الكلام هي مطابقتُهُ لمقتضَى حالِ مع فصاحتِهِ.**

المقصود بالحال: هو حال المخاطب من الناحية العمرية أو البيئية أو الثقافية أو الجنسية، فلكل حال طريقة كلام خاصة تقتضي أسلوب معين في الكلام.

فالحال تقتضي الإيجاز أو الإطالة، والإنكار يقتضي التأكيد والقسم مثلا، والشك يقتضي كثرة الشواهد، ومن الحال ما يقتضي التفصيل والإطناب، ومنه ما يقتضي الإيجاز.

- يخطئ الكثير من الناس حين يقول إن البلاغة هي كثرة الاستعارات والإيجاز فيوصف فلان بأنه بليغ لأن كلامه وجيز، أو أن القرآن معجز لأنه موجز وهذا تعميم غير صـــحيح فهناك مواقف جاء فيها الإيجاز والتفصـــيل، فالبلاغة ليســـت اســـتعراض لغوي وإنما هي تأثير في المخاطب ولا يحدث إلا إذا راعى المتكلم حالة المخاطب، فقد كان – صلى الله عليه وسلم - يراعي أحوال الناس وعقولهم، فالذي يتفاخر بالكلام، ويأتي بالجناسات والاستعارات والصور الجميلة بشكل مبالغ فيه لا يعد فصيحا.

(مع فصاحته): أي يجب أن يكون الكلام فصيحاً أولاً ثم بليغاً ثانياً.

ويقوم تعريف البلاغة إذن على ثلاثة دعائم:

1- اختيار اللفظ الفصيح.

2- حسن النَّظم والتأليف.

3- اختيار الأسلوب المناسب للمخاطَب (مراعاة مقتضى الحال).

رابعاً: الفرق بين الفصاحة والبلاغة.

لم يفرِّق كثيرٌ من العلماء بين الفصـــاحة والبلاغة، وفي رأيهم أنهما تدلان على مقصـــودٍ واحدٍ، ولكن مع تطوُّر علم البلاغة في العصـور المتأخرة أصـبح الفرق بينهما أمراً يكادُ يُجمع عليه العلماء.

ولعل من أوائل الذين فرّقوا بين الكلمتين ابن ســنان الخفاجي (466هـــــ) قال: الفرق بين الفصاحة والبلاغة أن الفصاحة مقصورة على وصف الألفاظ، والبلاغة لا تكون إلا وصفاً للألفاظ مع المعاني، لا يقال في كلمة واحدة لا تدل على معنى تفضـــلُ عن مثلها: بليغة، وإن قيل فيها إنها فصيحة. وكلُّ كلامٍ بليغٍ فصيحٌ وليس كلُّ فصيحٍ بليغاً.

خلاصة عامة:

دعائم الفصاحة هي:

1- مجال الفصاحة هو الألفاظ فقط.

2- تختصُّ الفصاحة بالكلمة المفردة، والكلام المركَّب.

3- من شروط الفصـاحة: الوضـوح والبيان، والألفة والانسـجام، والتوافق التام مع قواعد النحو والصرف.

وأما دعائم البلاغة فهي:

1- تختصُّ البلاغة بالألفاظ والمعاني.

2- تراعي البلاغة الأسلوب المناسب للمخاطَب (مقتضى الحال).

3- الفصاحة شرط أساسيٌ من شروط البلاغة.

4- تهدف البلاغة إلى التأثير في النفوس المخاطبين.

خامساً: أهمية البلاغة.

وللبلاغة أهداف كثيرة نذكر منها:

1- التأثير والإقناع.

2- الوقوف على أسرار الإعجاز البياني في القرآن الكريم.

3- تلمّس دقائق اللغة العربية، ومعرفة أسرارها.

4- البلاغة فرع من النقد الأدبي، ومعرفتها ضرورية للناقد.

5- اكتساب مهارات الكتابة الإبداعية.

سادساً: موضوعات علم البلاغة:

موضوعات هذا العلم الأساسية ثلاثة هي:

1- علم المعاني: ويهتم بدراسة التراكيب والجمل، ومدى مطابقة معانيها لمقتضى حالات المخاطبين.

2- علم البيان: ويهتم بالصورة الفنية القائمة على التَّشبيه، والكناية، والمجاز.

3- علم البديع: ويهتم بالوجوه التي تُزيَّنُ الكلام من جهة الألفاظ والمعاني.

علم البيان

تعريف علم البيان وفائدته ومباحثه:

البيان في اللغة:

الكشفُ، والإيضاحُ، والظهُّورُ.

والبيان هو المنطق الذي فُضِّل به الإنسان على الحيوان، قال تعالى: {الرَّحْمَنُ * عَلَّمَ الْقُرْآنَ * خَلَقَ الْإِنسَانَ * عَلَّمَهُ الْبَيَانَ} [الرحمن: 1-4].

وقال الرسول ﷺ: {إن من البيان لَسِحْراً} صحيح البخاري.

ومعنى البيان هنا: إظهار المقصود بأبلغ لفظ، والقدرة على الإقناع، وشدّة تأثير الكلام في النفوس.

علم البيان في الاصطلاح:

هو علمٌ يُعرف به إيرادُ المعنى الواحدِ بطرقٍ مختلفةٍ في وضوح الدلالة عليه.

مثلاً: إذا قال:

- (تأخرتْ حبيبتي اليوم) كان كلاماً أدبياً، لكنه خالٍ من الصورة الإبداعية.
- فإن قال: (تأخرَ قمري اليوم) كان استعارة.
- وإن قال: (تأخرت حبيبتي كالقمر اليوم) كان تشبيهاً.
- وإن قال: (حبيبتي قمر) كان تشبيهاً آخر.
- فترى إن المعنى واحد لكن الصور مختلفة.

فائدة علم البيان:

وظيفة علم البيان رسم الصّورة البديعة التي من شأنها التأثير في النفوس، وهو علم تستطيع بواسطته أن تؤدي المعنى الواحد بطرائق مختلفة من اللفظ، بعضها أوضح من بعض كالاستعارة، والكناية، والمجاز، وهذه الصور هي التي تبعث الجمال في النفس، والإعجاب في الشعور؛ لأنها قائمة على الخيال الواسع الخصب، والإحساس المُرهَف الذي نجده عند المبدعين من أهل صناعة الكلام.

مباحث علم البيان:

وعلم البيان يشمل هذه المباحث هي:

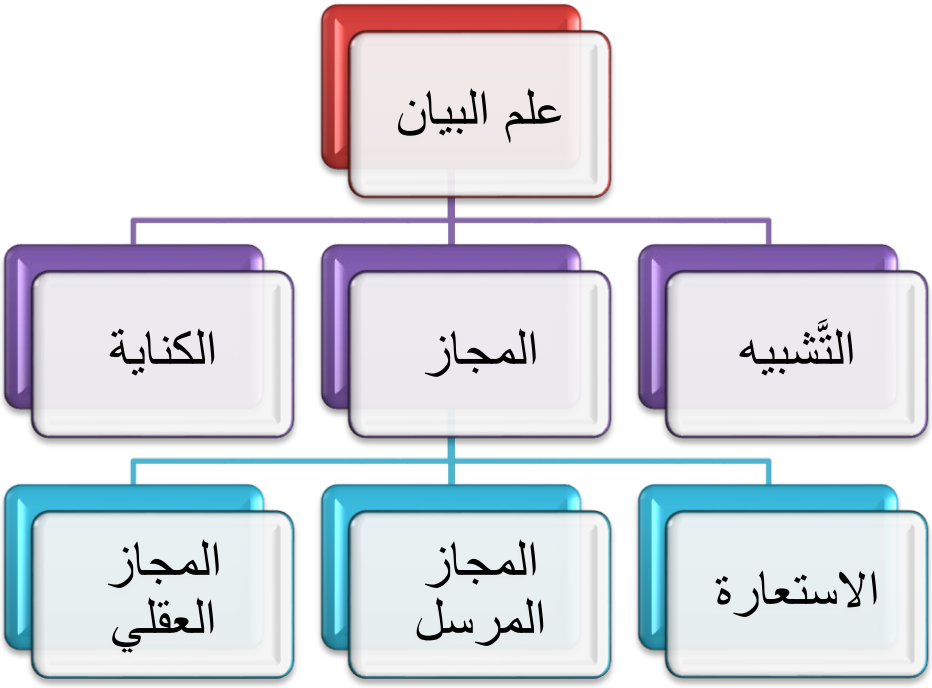

المبحث الأول

التَّشبيه

التَّشبيه لغة:

التمثيل، فهو مشتق من مادة (شَبَهَ)، والشَبَهُ والشَّبِيهُ: التمثيل، والجمع أشباه، تقول أشبه الشيء، بمعنى: ماثله.

اللغويون وبعض البلاغيين كالزمخشري وابن أثير: لم يُفرِّق بين التَّشبيه والتمثل.

ولكنّ المتأخرون كالسّكاكي والقزويني يرون أنّه نوع من التَّشبيه المركَّب، ولقّبوه بـ (التَّشبيه التمثيلي).

التَّشبيه في الاصطلاح:

هو إلحاق أمر بأمر آخر في صفة أو أكثر بأداة من أدوات التَّشبيه ملفوظة أو ملحوظة.

أركانه:

وأركانُ التَّشبيه أربعةٌ، هي:

1- المُشبَّهُ: هو الطرف ُالذي يُرادُ إلحاقَهُ بأمر آخر.

2- المُشبَّهُ به: هو الطرف الذي يُلحَقُ بهِ المشبَّهُ، لغرض بلاغي ما.

وهذانِ الركنانِ يسـميانِ طرفي التَّشـبيه، ولا يجوز حذفهما، فإذا حذف أحدهما تحوَّلت الجملة من التَّشبيه إلى الاستعارة.

3- أداةُ التَّشبيه: هي اللفظُ الذي يدلُّ على التَّشبيه، ويربطُ المشبَّهَ بالمشبَّهِ به، وأشهرها «الكاف» و«مثل» و«كأنَّ» وغير ذلك من الأدوات التي تدلّ على معنى المشابهة.

وقد تُذكرُ الأداةُ في التَّشبيه.

نحو: كان عمرُ في رعيَّتهِ كالميزانِ في العدلِ، وكان فيهم كالوالدِ في الرحمةِ والعطفِ.

وقدْ تحذفُ الأداةُ.

نحو: خالدٌ أسدٌ في الشجاعةِ.

من أدوات التَّشبيه هي:

إما اسم (مثل، مماثل، شبه- وما رادفها).

وإما فعل (يشبه، يماثل، يحاكي، يضارع).

وإما حرف (الكاف، كأنَّ).

4- وَجْهُ الشَّبَهِ: هو الوصفُ المشتركُ بينَ الطرفينِ، ويكونُ في المشبَّهِ به أقوَى منهُ في المشبَّهِ، وقد يُذكرُ وَجْه الشَّبَه في الكلامِ، وقد يُحذَفُ.

مثال توضيحي:

قال المَعَرِّيُّ يخاطب ممدوحه:

أَنْتَ كالشَّمْسِ في الضِّياءِ وإنْ جا ... وَزْتَ كيوانَ[1] في عُلُوِّ المكانِ.

المشبَّه: (أنت)- المشبَّه به: الشمس- أداة التشبيه: (الكاف) - وَجْهُ الشَّبَهِ: (في الضياء).

أنت كالليثِ في الشجاعةِ والإقدامِ ... والسيفِ في قِرَاعِ الخطوب[2].

في البيت تشبيهان لمشبَّه واحد- المشبَّه: (أنت) - والمشبَّه به: (الليث) في التَّشبيه الأول و(السيف) في التَّشبيه الثاني- أداة التَّشبيه: (الكاف)- وَجْه الشَّبَه: (الشجاعة والإقدام) في التَّشبيه الأول، و(قراع الخطوب) في التَّشبيه الثاني.

أنت نجمٌ في رفعةٍ وضياءٍ ... تجتليك العيونُ شرقاً وغرباً.

فقد شبَّه الشاعر الممدوح بالنجم في الرفعة والضياء، واحتوى التَّشبيه هنا على ثلاثة أركان هي: المشبَّه: (أنت)، والمشبَّه به: (نجم)، ووَجْه الشَّبَه: (رفعة وضياء).

فإنَّك شمسٌ والملوكُ كواكبٌ ... إذا طلعتَ لم يَبْدُ منهنّ كوكبَ.

في البيت تشبيهان:

الأول: شبَّه الممدوح بالشمس في الرفعة والجمال والضياء.

الثاني: شبَّه الملوك بالكوكب في رفعتها ومكانتها، ووصل إلى أنّ الممدوح مفضَّلٌ على الملوك كما هي الشمس مفضَّلة على الكوكب.

---

(1)- كيوان: اسم لكوكب زُحَل أبعد الكواكب السيارة بالنسبة إلى الأرض.

(2)- قراع الخطوب: أي: مصارعة الشدائد والتغلب عليها.

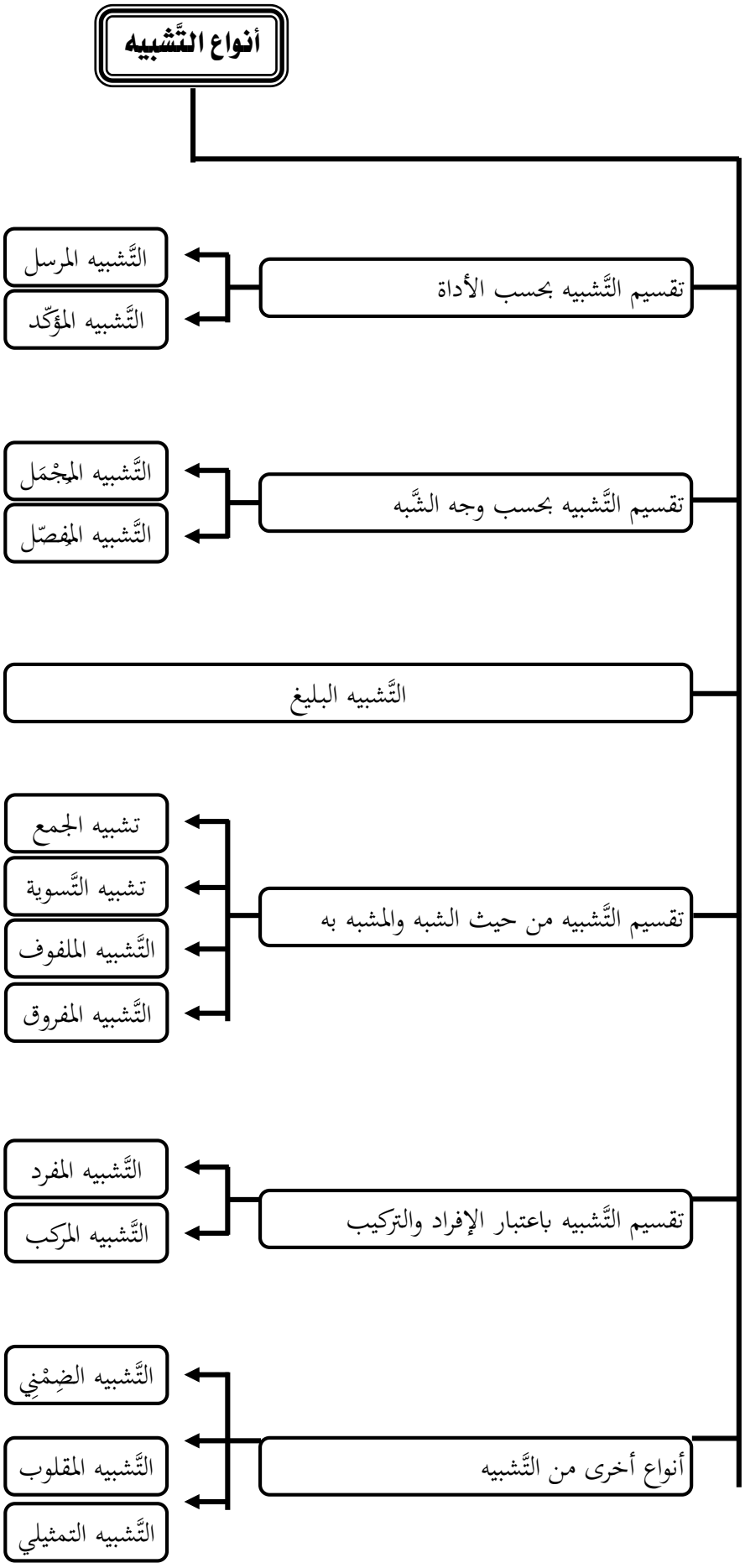
أنواع التَّشبيه
تقسيم التَّشبيه بحسب الأداة
التَّشبيه المرسل
التَّشبيه المؤكّد
تقسيم التَّشبيه بحسب وجه الشَّبه
التَّشبيه المجْمَل
التَّشبيه المفصّل
التَّشبيه البليغ
تقسيم التَّشبيه من حيث الشبه والمشبه به
تشبيه الجمع
تشبيه التَّسوية
التَّشبيه الملفوف
التَّشبيه المفروق
تقسيم التَّشبيه باعتبار الإفراد والتركيب
التَّشبيه المفرد
التَّشبيه المركب
أنواع أخرى من التَّشبيه
التَّشبيه الضِمْنِي
التَّشبيه المقلوب
التَّشبيه التمثيلي

قسّــم البلاغيون التَّشــبيه إلى عدّة أقســام، فقد لاحظوا أن التَّشــبيه قد يأتي في صــور متعددة:

أولاً: تقسيم التَّشبيه بحسب الأداة:

ينقسم التَّشبيه بحسب الأداة إلى: مرسل، ومؤكَّد.

1- التَّشبيه المُرْسَل: وهو ما ذُكِرَتْ فيه أداة التَّشبيه.

فهو التَّشــبيه الذي قيل بطريقة عفوية، أي أرســل بلا تكلف، فذُكِرَتْ أداة التَّشــبيه بين الطرفية.

قال تعالى: {طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُؤُوسُ الشَّيَاطِينِ}[1] [سورة الصافات: 65].

فقد شبَّه طلع شجرة الزَّقوم- وهو ثمرها- برؤوس الشياطين في بشاعتها وفظاعتها، وذكر أداة التَّشبيه «كأنَّ»، فسُمِّي التَّشبيه مرسلاً.

وقال النبيُّ ﷺ: {المؤمن للمؤمن كالبيان يشدُّ بعضُه بعضاً}.

فقد شـبَّه علاقة المؤمن بالمؤمن بالبنيان المتماسِـك، وذكر أداة التَّشـبيه «الكاف»، فسُـمِّي مرسلاً.

قال البحتري:

قُصُورٌ كالكواكبِ لامِعَاتٌ ... يَكدْنَ يُضِئْنَ للسَّاري الظَّلاما.

المشبَّه: قصور، المشبَّه به: الكواكب، أداة التَّشبيه: الكاف، وَجْه الشَّبَه: لامعات.

2- التَّشبيه المؤكَّدُ: هو ما حذفتْ منه أداته.

ويقصد بالمؤكد أن التشابه بين الطرفين أكيد.

(1)- قال تعالى:{ أَذَلِكَ خَيْرٌ نُزُلًا أَمْ شَـجَرَةُ الزَّقُّومِ (62) إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ (63) إِنَّهَا شَـجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْـلِ الْجَحِيمِ (64) طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ (65) } [الصافات: 62 - 66]

قال تعالى: {وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ} (سورة النمل:88)

أي: (تمرُّ مرّاً كمَرِّ السَّحاب)؛ فقد شبَّه حال الجبال يوم يُنفخ في الصُّور بحال السَّحاب في تخلخلِ الأجزاء وافتراقها، فحذفت أداة التَّشبيه، وفي حذفها زيادة في التأكيد.

قال البحتري مادحاً:

بِنْتَ بالفضلِ والعُلُوِّ فأصبحتَ ... سماءً وأصبحَ الناسُ أرضاً.

فقد شبَّه الممدوح بالسماء، والناس بالأرض، وحذف أداة التَّشبيه.

ثانياً: تقسيم التَّشبيه بحسب وَجْه الشَّبَه:

ينقسم التَّشبيه بحسب وَجْهُ الشَّبَه إلى: مُجمل، ومفصَّل.

1- التَّشبيه المُجْمَلُ: وهو ما حُذِفَ منه وَجْه الشَّبَه.

أي أنّ التَّشبيه مختصر.

وصف أعرابيّ رجلاً فقال:

كأنَّه النهارُ الزاهرُ والقمرُ الباهرُ الذي لا يخفى على كل ناظر.

في النص تشـبيهان: الأول، المشـبَّه: مدلول الضـمير في كأنّه، المشـبَّه به: النهار الزاهرُ، الأداة: كأنّه، وجه الشبه: محذوف.

الثاني: المشبَّه: مدلول الضمير في كأنّه، المشبَّه به: القمر الباهر، الأداة: كأنّه، وجه الشبه: محذوف.

قال الشاعر:

مَنْ يَصْنَعِ الخَيْرَ مع مَنْ ليسَ يَعْرِفُهُ ... كَوَاقِدِ الشَّمْعِ في بَيْتٍ لِعُمْيَانِ.

فقد شـبَّه فاعل الخير في غير أهله بواقد الشـموع للعميان، ووَجْهُ الشَّـبَه محذوف يمكن تقديره بعدم الانتفاع، ونكران الجميل.

2- التَّشبيه المُفصَّلُ: وهو ما ذُكِرَتْ فيهِ أركانُ التَّشبيه الأربعةِ.

قال تعالى: {ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّن بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً} (سورة البقرة: 74)

فوَجْهُ الشَّبَه بين قلوب اليهود والحجارة هو القسوة الشديدة.

قال الأعشى:

كأنَّ مِشْيَتها من بيتِ جارتها ... مرُّ السحابة لا ريثُ ولا عَجَلُ.

فقد شـبَّه مشـيةَ المحبوبة بالسـحابة في مرورها من بطءٍ ولا عجلةٍ، وفيه دلالة على الوقار والتوازن.

قال الشاعر:

العُمْرُ مِثْلُ الضَّيْفِ أو ... كَالطَّيْفِ[1] ليسَ لَهُ إقامَة.

المشـبَّه: العمر، المشـبَّه به: الضـيف أو الطيف، الأداة: مثل والكاف، وَجْهُ الشَّـبَه: ليس له إقامة.

ثالثاً: التَّشبيه البليغ:

وهو ما حُذِف منه الأداة ووَجْهُ الشَّـبَه، وهو أبلغ أنواع التَّشـبيه، لأنه يجعل من المشـبَّه والمشبَّه به لُحْمَةً واحدةً لا تنفصل، وسُمِّي بليغاً لما فيه من مُبالغة في اعتبار المشبَّه عينَ المشبَّه به.

قال تعالى: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ} (سورة الحجرات:10).

فقد شبَّه الله تعالى المؤمنين بالأخوة في توادهم وتراحمهم وتماسك صفوفهم، وحُذِف الأداة ووَجْهُ الشَّبَه، وجعل المشبَّه عين المشبَّه به.

قال تعالى: {هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ} [سورة البقرة: 187].

فقد شبَّه الله تعالى النساء والرجال باللباس في الستر، وحُذِف الأداة ووَجْهُ الشَّبَه، وجعل المشبَّه عين المشبَّه به.

قال الشاعر:

فاقضُوا مآربَكُم عِجالاً ... إنما أعمارُكم سفَرٌ من الأسفارِ

فقد شـبَّه الشـاعر العمرَ بالسـفر في عدم البقاء والمكوث، وحُذِف الأداة ووَجْهُ الشَّـبَه، وجعل المشبَّه عين المشبَّه به.

(1)- (الطيف) الخيال الطائف وهو ما يراه النائم والجنون والغضب [ج] أطياف.

قال المتنبي في مدح كافور:

إذا نِلْتُ منك الوُدَّ فالمالُ هَيِّنٌ ... وكلُّ الذي فوق الترابِ ترابُ.

المشبَّه: كلُّ الذي فوق الترابِ، المشبَّه به: تراب، وحذف الأداة ووَجْهُ الشَّبَه.

رابعاً: تقسيم التَّشبيه من حيث الطرفان:

ينقسِمُ طرفا التَّشبيه، إلى المشبَّهِ والمشبَّهِ به باعتبارِ تعدُّدِهما، أو تعدُّدِ أحدهِما، إلى أربعةِ أقسامٍ: جمعٌ، وتسويةٌ، وملفوفٌ، ومفروقٌ.

1- تشبيهُ الجمع:

هو أن يتعددَ المشبَّهُ به دون المشبَّهِ.

قال تعالى: {كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ} (سورة الرحمن: 58).

شبَّه حور العين في الإشراف والجمال بشيئين هما: الياقوت والمرجان.

قال النبي ﷺ: «الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله، أو القائم الليل، أو الصائم النهار».

شبَّه ﷺ من يسعى في حاجة الأرملة والمسكين في المنزلة والأجر بثلاثة أشياء: المجاهد في سبيل الله، والمصلي الذي يقوم الليل، والصائم الذي يصوم النهار.

قال البحتريِّ:

كأنما يبسمُ عن لؤلؤٍ ... مُنَضَّدٍ أو بَرَدٍ أو أقاح

المشبَّه: المحبوب، المشبَّه به: مُنَضَّد - بَرَد – أقاح[1]

قال امرئ القيس:

كأنّ الْمُدَامَ وَصَوْبَ الْغَمَامِ ... وَرِيحَ الْخُزَامَى وَنَشْرَ الْقُطُرْ

المشبَّه: رِيقُ صاحبته التي يصف، المشبَّه به: الْمُدام- وصوبُ الغمام- وريح الخزامى- ونشر العود الذي يُتبخَّرُ به[2].

---

(1)- أي كأن المحبوب يبتسم عن أسنان كاللؤلؤ المنظوم، أو كالبرد أو كالأقاح، فشبه الشاعر: ثغر (مقدم أسنان) المحبوب بثلاثة أشياء اللؤلؤ (وهو الجوهر المعلوم) والمُنْضَّدٌ (مرصوفٌ بتنا سُق) والبرد (وهو حب الغمام) و(الأقاح) جمع أُقْحُوانَة بضم الهمزة وفتحها، وهو زهر نبت طيب الرائحة، حوله ورق أبيض، ووسطه أصفر.

(2)- الْمُدَام: الخمر، صَوْبُ الغمام: مطره النافع الذي لا يؤذي، الْخُزَامَى: نبات ذو رائحة عَطِرة، ونَشْرَ الْقُطُر: النَّشْرُ: الريح الطيبة، الْقُطُر: الْعُودُ الَّذِي يُتَبَخَّرُ به.

2- تشبيهُ التسوية:

وهو تشبيه عدّةِ أشياء بشيء واحد.

سمي هذا النوع: "تشبيه التسوية"، لأنه سوى فيه بين شيئين في إلحاقهما بشيء واحد.

قال الشاعر:

صُدْغُ الْحَبِيبِ وَحَالِي ... كِلاَهُمَا كاللَّيَالِي.

وَثَغْرُهُ فِي صَـــــفَاءٍ ... وَأَدْمُعِي كاللآلئ.

فقد شــبَّه في البيت الأول: صــدغ الحبيب "وهو الشــعر البادي من الرأس فيما بين الأذن والعين" وحاله بالليالي، وشـبَّه في البيت الثاني: ثغر الحبيب "وهو مقدم أسـنانه" ودموعه باللآلئ في القدر والصفاء والإشراق، فالمشبَّه فيهما متعدد دون المشبَّه به.

قال الشاعر:

آراؤكم ووجوهكم وسيوفكم ... في الحادثات إذا دجونا[1] نجوم

فالمشبَّه كما نرى متعدد الآراء، والوجوه والسيوف كل هذا شبَّهه بشيء واحد وهو النجوم

قال الشاعر:

العُمرُ والإنسانُ والدنيا هم ...كالظِّلِّ في الإقبالِ والإدبارِ.

فقد شبَّه العمر والإنسان والدنيا في الإقبال والإدبار بشيء واحدٍ هو الظلِّ.

3- التَّشبيه الملفوف:

وهو أن يُشبِّه عدّة أشياء بعدّة أشياء، ولكن يُؤتى بالمشبَّهات أولاً، ثم المشبّهات بها على الترتيب، وسُمِّي بالملفوف لأنه لَفَّ المشبَهات معاً.

مثال ذلك: الأمير ووزيره كالشمس والبدر.

المشبَّه: الأمير ووزيره، والمشبَّه به: الشمس والبدر.

كقول امرئ القيس يصف عُقاباً بكثرة اصطيادها الطيور:

كَأَنَّ قُلُوبَ الطَّيْرِ رَطْباً وَيَابساً ... لَدَى وَكْرِهَا الْعُنَّابُ والْحَشَفُ الْبَالِي

(1)- دجن اليوم: أظلم

فجاء أوّلاً بمشَــبَّهَيْن هما: القلوب الرطبة، والقلوب اليابســة من قلوب الطير. وجاء بعد ذلك لكلّ منهما بمشبَّه بِه منفصل عن الآخر، هما:

الْعُنَّابُ: وهو ثمر أَحْمَر لشجرة تُسَمَّى العناب أيضاً، وقد شبَّه به القلوب الرَّطْبَة.

والحـشَفُ البالي: وهو يابسُ التَمْرِ الذي ذهب ماؤه وكُلُّ خير فيه، وقد شَبَّه به القلوب اليابسة من قلوب الطير.

قال الشاعر:

ليلٌ وبدرٌ وغصنٌ ... شَعرٌ ووجهٌ وقَدٌّ.

خمـرٌ ودُرٌّ ووَردٌ ... ريقٌ وثغرٌ وخدٌّ.

في البيت الأول: شبَّه شَعْرَ المحبوب بالليل، ووجهَه بالبدر، وقدَّه بالغصن بطريقة التَّشبيه المقلوب الذي سيأتي بيانه.

وفي البيت الثاني: شـبَّه ريقَ المحبوب بالخمر، ومقدَم أسـنانه بالدرِّ، وخدَّه بالورد بطريقة التَّشبيه المقلوب الذي سيأتي بيانه.

4- التَّشبيه المفروق:

وهو أن تُشبِّه عدّة أشياء بعدّة أشياء، ولكن يُؤتى إلى جانب كلِّ مُشبَّه بما شُبّه به، ولا تأتي المشبّهات أولاً ثم المشبّهات بها بعد ذلك.

كقول الشاعر:

النَّشْرُ مِسْكٌ والوُجُوهُ دَنَا ... نِيرٌ وأَطْرَافُ الأَكُفِ عَنَمٌ[1].

في البيت ثلاثة تشبيهات:

الأول: المشبَّه: النشر، المشبَّه به: مسك.

الثاني: المشبَّه: الوجوه، المشبَّه به: دنانير.

الثالث: المشبَّه: أطراف الأكف، المشبَّه به: عنمٌ.

(النشر): الرائحة الطيبة، (العنم): شجر ليّنُ الأغصان.

فقد شبَّه الرائحة الطيبة بالمسك، والوجوه بالدنانير، وأطراف الأكف بالعنم.

قال المتنبي يصف حسناءه:

بَدَتْ قَمراً وَمَالَتْ خُوطَ بَانٍ ... وَفَاحَتْ عَنْبراً ورَنَتْ غَزَالاً

(1)- شجرة صغيرة دائمة الخضرة لها ثمر أحمر تتخذ للصباغ.

الْخوطُ: الغُصْـنُ الناعم اللّين. والْبَانُ: نوع من الشـجر ". رَنَتْ: أي: أدامت النظر مع سـكون الطرف.

ومعناه: بدت منيرةً كالقمر. أي وجهها. ومالت لينة الأعطاف كالغصـــن: وأراد به القامة. وفاحت زكية كالعنبر، ورنت كحلاء الجفون كالغزال.

خامساً: تقسيم التَّشبيه باعتبار الإفراد والتركيب:

1- التَّشبيه المفرد:

وهو ما كان فيه الطرفان مفردين.

مثل: الحجّة كالشمس في الظهور.

المشبَّه هنا مفرد: الحجة، المشبَّه به أيضاً مفرد: الشمس.

قال تعالى: {وَمِنْ آيَاتِهِ الْجَوَارِ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ} (سورة الشورى: 32).

فقد شبَّه السُّفن في ارتفاعها وضخامتها بالجبال. الطرفان مفردان.

قال الشاعر:

أنت كالليثِ في الشجاعةِ والإقدامِ ... وكالسيفِ في قِرَاعِ الخطوب.

فقد شبَّه الشاعر الممدوح بالليث في الشجاعة، وبالسيف في مواجهة المصاعب، والطرفان مفردان.

2- التَّشبيه المركَّب:

وهو تشبيه تركيبي يتألف من عدّة عناصر وجزئيات، ولكنّها تأتي ممتزجة مندمجة، بحيث أنّ كلَّ طرفٍ من طرفي التَّشـبيه يؤلِّف صـورة واحدة لا فاصـل بين أجزائها المفردة، وهو يقوم كذلك على تعدّد وَجْهُ الشَّبَه.

قال تعالى: {مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا} (سورة الجمعة: 5)

فقد شـــبَّه أحبار اليهود وعندهم التوراة ولكنّهم لا يعملون بها، بالحمار الذي يحمل على ظهره أسفاراً من الكتب ولكنّه لا ينتفع بها، ووَجْهُ الشَّبَه: عدم الانتفاع مع وجود أسبابه.

قال بشار بن برد:

كأنّ مثارَ النقعِ فوق رُؤوسنا ... وأسيافنا ليلٌ تهاوى كواكبُه.

فالمشــبَّه هم مجموعة الغبار والســيوف المتألقة في خلاله، والمشــبَّه به هو الليل الذي تتهاوى كواكبه.

قال الشاعر:

كأنَّ سهيلاً والنجومُ وراءَه ... صفوفُ صلاةٍ قامَ فيها إمامها.

فقد شـبَّه الشـاعر النجم سـهيلاً بالإمام في الصـلاة، ولو أنه قال: كأنَّ سـهيلاً إمامٌ، وكأنَّ النجومَ صُـفوفُ المصـلين، لأتى بتشـبيهين واهيين، ولضـاع جمال التَّشـبيه، لكنّه جعل التَّشـبيه مركباً، حيث شبَّه سهيلاً، وهو النجم اليماني، والنجوم تضيء خلفه بالإمام وهو يؤمُّ المصلين.

سادساً: أنواع أخرى من التَّشبيه:

1- التَّشبيه الضِّمْني:

هو ما لم يُصَرَّحُ فيه بأركان التَّشبيه (المشبَّه- المشبَّه به) على الطريقة المعهودة، بل يُفْهَمُ من مضمونِ الكلامِ وسياقِ الحديثِ، ولذلك سُمِّيَ بالتَّشبيه الضِّمْنِي.

قال تعالى: {وَاقْصِـدْ فِي مَشْـيِكَ وَاغْضُـضْ مِن صَـوْتِكَ إِنَّ أَنكَرَ الْأَصْـوَاتِ لَصَـوْتُ الْحَمِيرِ} (سـورة لقمان: 19)

فقد شـبَّهتْ الآية الكريمة الصـوت العالي بصـوت الحمير، ولكنّه لم يُصرِّـح بذلك، وإنما فُهِم التَّشبيه من ضمن الكلام.

وكقول أبي الطيب المتنبي:

ومَنْ يَهُنْ يَسْهَلُ الْهَوَانُ عليهِ ... وَمَا لِجُرْحٍ بِمَيِّتٍ إيلامُ.

يقول الشاعر: إن الذي عاش بالهوان واعتاده سَهُلَ عليه تقبل هوانٍ جديدٍ، وذِلٍّ آخر، ولكي يبرهن على ما يقول ضرب مثلاً بالميت، فلو قطعت أجزاء الميت، لا يتألَّم ولا يحسّ، لأنه فَقَدَ أحاسيسه.

المشبَّه: الرجل الذي عاش هوانا وسَهُلَ عليه قبول الهوان الجديد.

المشبَّه به: الميت الذي فقد أحاسيسه فلم يَعُدْ يألم لجرح جديد لو أصابه.

وكقول المتنبيّ يمْدَحُ الْحُسَيْنَ بْنَ عليّ الْهَمَدَانيِ ويمْدَحُ أَباهُ:

وَأَصْبَحَ شِعْرِي مِنْهُمَا فيِ مَكَانِهِ ... وَفي عُنُقِ الْحَسْنَاءِ يُسْتَحْسَنُ الْعِقْدُ

ما جاء في الشـطر الثاني ليس تشـبيهاً وفق المعروف من عبارات التَّشـبيه، لكنْ يُفْهَمُ مِنْهُ ضِمْناً تشبيهٌ، وهو أنّ شِعْرَه في ممدوحَيْهِ يشبه الْعِقْدَ النفيس في عُنُق المرأة الحسناء.

وكقول المتنبي أيضاً يمدَحُ "أبا أيوب أحمد بن عمران":

كَرَمٌ تَبَيَّنَ في كلاَمِكَ مَاثِلاً ... ويَبِينُ عِتْقُ الْخَيْلِ فيِ أَصْوَاتِهَا

عِتْقُ الخيل: كَرَمُها وأصالَتُها وتَفَوُّقُها في السَّبْق.

في أصواتها: أي: في صهيلها، أي: إنّ الفرس الكريم إذا صَهَل عُرِف عِتْقُهُ وكَرَمُهُ بصهيله.

ما جاء في الشـطر الثاني ليس تشـبيهاً وفق المعروف من عبارات التَّشـبيه، لكن يُفْهَمُ منه ضمناً تشبيه، وهو أنّ كرَم ممدوحه يظهر في كلامه، كما يظهر عِتْقُ الخيل في صَهِيلها.

وكقول البحتري يمْدَحُ "مُحَمَّد بْنَ عَليٍّ الْقُمّي":

ضَحُوكٌ إلَى الأَبْطَالِ وَهُوَ يَرُوعُهُمْ ... وللسَّيْفِ حَدٌّ حِينَ يَسْطُو ورَوْنَقُ

يفهم من الشـطر الثاني ضـمناً تشـبيهٌ، وهو أن ممدوح الشّـاعر كالسـيف له صـفتان، يسُرُّ الأبطال بإشراقه وبسماته، ويروعهم بسطوة سلطانه.

وكقول أبي العتاهية:

تَرْجُو النَّجَاةَ وَلَمْ تَسْلُكْ مَسَالِكَهَا ... إنَّ السَّفِينَةَ لاَ تَجْري على الْيَبَسِ

الشطر الثاني تضمَّنَ تَشبيها، ولم يأت على نسق التَّشبيه المعهود من ذكر المشبَّه والمشبَّه به.

وإيضـاح هذا التَّشـبيه الضـمني هو أنّ مَنْ لم يسْـلُكْ مسَـالِكَ النَّجَاةِ تكون حالهُ مثل حال السَّفينة البحريّة إذا وُضِعَتْ في البرّ على اليابسة، فإنَّها لا تجري.

وكقول أبي تمّام:

اصْبِرْ عَلَى مَضَضِ[1] الْحَسُو ... دِ فَإِنَّ صَبْرَكَ قَاتِلُهْ

النَّارُ تَأْكُلُ بَعْضــهَا ... إِنْ لَمْ تَجِدْ مَا تَأْكُلُهْ

في البيت الثاني فقد شبَّه الشاعر حسدَ الحسود بالنار التي تأكل بعضها.

(1)- ألم.

وكقول أبي تمّام أيضاً:

لَيْسَ الحِجَابُ بمِقْصٍ عَنْكَ لي أَمَلاً ... إنَّ السَّمَاءَ تُرَجَّى حِينَ تَحْتَجِبُ

الشطر الثاني اشتمل على تشبيه ضمنيّ واضح الدلالة.

وكقول أبي فراس الحمداني من قصيدة نظمها في بلاد الروم أيام أسره:

سَيذْكُرني قَوْمي إذا جدّ جِدُّهمْ ... ...وفي اللَّيْلَة الظَّلْماءِ يُفْتَقَدُ الْبَدْر

معنى البيت: أن قومي الذين أهملوني وتركوني في الأسر كأنهم قد نسوني، سيذكرونني عندما يجدّ الجدّ، وعندما يتعرضون لحرب قوية يحتاجون فيها لقائد عظيم مثل أبي فراس، فحالي كحال البدر ينساه الناس في الليالي المقمرة، إذ لا يشعرون بالحاجة إليه، ولكنهم في الليالي المظلمة يفتقدونه ويتمنونه طلوعه.

شبَّه الشاعر نفسه بالبدر، و شبَّه الحروب والظروف العصيبة بالظلام، و شبَّه حاجة قومه إليه أيام الأزمات كحاجة الناس إلى ضياء البدر في الليالي الحالكات.

وكقول المتنبي من قصيدة يرثي فيها والدةَ سيف الدولة ويمدحُهُ فيها:

فَإِنْ تَفُقِ الأَنَامَ وَأَنْتَ مِنْهُمْ ... فَإِنّ الْمِسْكَ بَعْضُ دَمِ الْغَزَالِ

زعم الشاعر أن سيف الدولة قد فاق الأنام الذي هو واحد منهم، و صار جنساً آخر، ولما لم يكن ذلك مسلماً له لا عقلاً ولا عادةً، احتاج إلى أن يقويه، فألحقه بما لا نزاع فيه وهو المسك، فإنه قد خرج عن أصله، وصار جنساً آخر حقيقة.

وكقول أبي تمّام رثاء طفْلَيْن لعَبْد الله بن طاهر:

لَهَفِي[1] عَلَى تِلْكَ الشَّوَاهِدِ مِنهُمَا ... لَوْ أُمْهِلَتْ حَتَّى تَكُونَ شَمَائِلا[2]

إنَّ الْهِلالَ إِذَا رَأَيْتَ نُمُوَّهُ ... أَيْقَنْتَ أَنْ سَيَصِيرُ بَدْراً كامِلا

المشبَّه: طفلا عبد الله بن طاهر.

المشبَّه به: الهلال.

وكقَولَ ابْن الرومي:

قد يشيب الْفَتى وَلَيْسَ عجيباً ... أَن يُرى النَّوْرُ[3] في الْقَضِيب الرطيبِ

(1)- (لهف) على الفائت لهفا حزن وتحسر فهو لهف ولهيف ولاهف ولهفان وفي الحديث (اتقوا دعوة اللهفان).

(2)- شمائل الإنسان: طبائعه وخلقه. رجل كريم الشمائل: كريم الأخلاق والصفات الحسنة.

(3)- (النور) الزهر الأبيض ينمو على الشجر.

يقول ابن الرومي: إن الشـابَّ قد يشـيب ولم تتقدم به السـن، وإن ذلك ليس بعجيب فإن الغصن الرطب قد يظهر فيه الزهر الأبيض.

وكقول ابن الرومي أيضاً:

وَيْلاهُ إنْ نَظَرَتْ وَإنْ هِيَ أَعْرَضَتْ ... وَقعُ السِّهامِ ونزعُهُنَّ أليمُ.

شبَّه نظرها: بوقع السهام، وشبَّه إعراضها بنزعها: بياناً لإمكان إيلامها بهما جميعاً.

2- التَّشبيه المقلوب:

التَّشــبيه المقلوبُ: هو جعلُ المشــبَّهِ مشــبَّهاً به بادِّعاءِ أَنَّ وَجْهُ الشَّــبَه فيه أَقوَى وأَظهرُ. ويسمَّى ذلك بالتَّشبيه المقلوبِ أو المعكوسِ.

وكقول محمد بن وهيب الحميري في مدح الخليفة المأمون:

وبَدَا الصَّباحُ كأنَّ غرَّتَهُ ... ...وَجْهُ الخَليفةِ حِينَ يمْتَدَحُ

فالشاعر قلب التَّشبيه في هذا البيت، إذ شبَّهَ غرَّةَ الصباح بوجهِ الخليفةِ، إيهاماً أن الإشراق (وَجْهُ الشَّبَه) أتمُّ في وجهِ الخليفة منه في الصباح.

وكقول حافظ إبراهيم:

أحِنُّ لَهُم ودُونَهُمُ فَلاةٌ ... كأنَّ فَسِيحَها صدْرُ الحَليمِ

المشبَّه: فسيح الفلاة.

المشبَّه به: صدر الحليم.

نوع الشبه: مقلوب.

المعهود تشبيه صدر الحليم بالفلاة، ولكن الشاعر عكس رغبة في المبالغة.

وكقول البحتري يصف بَرْقَ السحابة بتبسُّم ممدوحه:

كَأَنَّ سَنَاهَا بِالْعَشِيّ لِصُبْحِهَا ... تَبَسُّمُ عِيسَى حِينَ يَلْفِظُ بِالْوَعْدِ

شبَّه البحتري برق السحابة الذي ظلّ لمّاعاً طوال الليل بتبسم الممدوح حين يعد بالعطاء، ولا شك أن لمعان البرق أقوى من بريق الابتسام.

قال الشاعر:

الورد يحكي خدَّه ... والرمح يشبِّهُ قدّه.

فهذان تشبيهان مقلوبان أصلهما: خده يحكي الورد، وقدّه يشبِّه الرمح.

قال ابن المعتز:

والصبح في طُرَّة ليل مسفر ... كأنّه غرّة مهر أشقر[1].

المشبَّه هنا: الصبح.

المشبَّه به: غرّة مهر أشقر

العادة في عرف الأدباء أن تشبه غرة المهر بالصبح.

3- التَّشبيه التمثيلي:

هو تشبيه مركّب يقوم على التعدُّد في وَجْهِ الشَّبَه.

قال تعالى: {وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاء حَتَّى إِذَا جَاءهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِندَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ} (سورة النــور: 39)

فقد شبَّه حال الكافر في انخداعهم بأعمالهم بإنسان ظمآن يرى سراباً، فيحسبه ماءً، فإذا اقترب منه لم يجد ما كان يرجوه ويأمله، ووجه الشبه هو الخيبة والخسران.

قال المتنبي:

يَهُزُّ الجَيْشُ حَوْلَكَ جَانَبَيْهِ ... كَمَا نَفَضَتْ جَنَاحَيْها العُقَابُ

شــبَّه حركة الجيش المتجه إلى الأعداء بحركة جناحي العقاب أثناء الطيران، ووَجْهُ الشَّــبَه صـورةٌ متحركة تمثِّل تقدُّم الجيش وتراجعه في تناسـق وانتظام، مع الإشـارة إلى سـطوته وإرهابه لأعدائه، إذ العقاب من أكبر الطيور الجارحة وأكثرها فتكاً بأعدائها.

وقال البوصيري:

والنفسُ كالطفلِ إن تُهْمِلهُ شبَّ على ... حُبِّ الرضاعِ وإن تُفْطِمْهُ يَنْفَطِم

فهذا تشــبيه تمثيلي صــوّر فيه الشــاعر النفس كالطفل، الذي يحتاج إلى ترويض صــعب، ورعاية دائمة، فالطفل إن تتركه بدون توجيه وتربية صحيحة ينشأ فاسداً؛ لأنه سيستمر في الرضاعة بلا حدود ولا قيود، أما إذا فطمته في الوقت المناسب فسيكون هذا السلوك في مصلحته ومصلحة الآخرين، ووَجْهُ الشَّبَه صورة تتخلّص في الرعاية والتوجيه والإرشاد.

(1)- طرة الشيء: طرفه، وليل مسفر: دخل في الإسفار وهو ظهور الفجر، والغرة: بياض في جبهة الفرس، والمهر الأشقر: الأحمر الشعر.

قال الشاعر:

وما المرءُ إلا كالشهابِ وضوئِه ... يُوافي تمام الشهر ثم يغيب.

فوَجْهُ الشَّـبَه ما يتصـوره المرء من سرعة الفناء، انتزعه الشـاعر من أحوال القمر المتعددة التي يعرفها؛ إذ يبدو في أول أمره هلالاً رفيعاً، ثم يأخذ بالاكتمال حتى يصـير بدراً، ثم يتحوَّل إلى النقصـان، إلى الهلال، حتى يدخل في آخره، ولما احتوى التَّشـبيه على وَجْهِ الشَّـبَه المسـتمدّ من صورة منتزعة من متعدد، فالتَّشبيه تمثيلي.

أغراض التشبيه

قد يلجأ الكاتب أو الشـاعر في التعبير إلى أسـلوب التشـبيه لشـعوره بأنه أكثر من غيره في إصابة الغرض ووضوح الدلالة على المعنى.

1- بيان حال المشبه، إذا كان غير معروف الصفة قبل التشبيه.

قال النابغة يمدح النعمان:

فإنّك شمسٌ والملوكُ كواكبٌ ... إذا برزتْ لم يبدُ منهُنَّ كوكبُ.

المشبه في البيت اتضحت معالمه بعد ذكر المشبه به.

2- بيان إمكان حال المشـبه، وذلك حين يسـند إليه أمر مسـتغرب لا تزول غرابته إلا بذكر شـبيه له، معروف واضح، ليثبت في ذهن السامع.

قال ابن الرومي:

وَيْلاهُ إنْ نَظَرَتْ وَإنْ هِيَ أَعْرَضَتْ ... وَقعُ السِّهامِ ونزعُهُنَّ أليمُ.

شبَّه نظرها: بوقع السهام، وشبَّه إعراضها بنزعها: بياناً لإمكان إيلامها بهما جميعاً.

3- بيان مقدار حال المشـبه، وذلك إذا كان المشـبه معروف الصـفة قبل التشـبيه معروفة إجماليه، وكأنَّ التشبيه يبين مقدار هذه الصفة.

قال الشاعر:

إذا قامتْ لحاجتها تَثَنَّتْ ... كأنّ عِظامَها منْ خَيزُرانِ[1]

شبهَ عظامَها بالخيزرانِ بياناً لما فيها من اللينِ.

4- تزيين المشبه، وذلك بتحسينه وتجميله، وإظهاره في صورة ترغبها النفس.

قال تعالى: {وَحُورٌ عِينٌ * كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ} (سورة الواقعة: 22- 23).

5- تقبيح المشبه بإلحاقه بمشبه به قبيح ومكروه.

---

(1)- تثنت: تمايلت مع تكسر، والخيزران: نوع من الخشب واضح الليونة.

قال تعالى: {طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُؤُوسُ الشَّيَاطِينِ} (سورة الصافات: 65).

6- تقرير صفة المشبه في ذهن السامع.

قال الشاعر:

إِنّ القُلوبَ إذا تنافر ودُّها ... مِثْلُ الزُجَاجَةِ كسْرُها لا يُجْبَرُ

شـبَّه تنافرَ القلوبِ بكسرِ الزجاجةِ، تثبيتاً لتعذرِ عودةِ القلوبِ إلى ما كانتْ عليه من الأنسِ والمودَّةِ.

تمرينات على موضوع التشبيه

(1) بين كل تشبيه في الأبيات التالية، ووضح أركانه:

1 - قول رشيد الدين الوطواط:

فوجهك كالنار في ضوئها وقلبي كالنار في حرها

2 - وقال- أيضاً-:

كأن الثريا هودج فوق ناقة بحث بها حاد إلى الغرب مزعج

وقد لمعت حتى كأن بريقها قوارير فيها زئبق يترجرج

3 - وقال آخر يصف جيشاً:

وجيش كمثل الليل هولاً وهيبة وإن زانه ما فيه من أنجم زهر

الإجابة على تمرينات التشبيه

الإجابة على تمرين (1)

1 - التشبيه في قول الشاعر: فوجهك كالنار في ضوئها

أركان التشبيه هي:

أ- المشبه: وجهك.

ب- المشبه به: النار.

جـ- أداة التشبيه: الكاف.

د- وجه الشبه: في ضوئها.

فقد شبه الوجه بالنار في ضوئه وإشراقه، وكذلك هناك تشبيه آخر في الشطر الثاني من قول الوطواط في قوله: وقلبي كالنار في حرها.

أركان التشبيه:

أ- المشبه: قلبي.

ب- المشبه به: النار.

جـ- أداة التشبيه: الكاف.

د- وجه الشبه: في حرها.

فقد شبه شدة الشوق وحرارته في قلبه بالنار في شدة حرارتها وقوة لهيبها فالشوق يحرق قلبه كما تحرق النار الوقود.

2 - التشبيه في قوله: "كأن الثريا هودج فوق ناقة يحث بها حاد ... ".

أركان التشبيه هي:

أ- المشبه: الثريا

ب- المشبه به: هودج فوق ناقة .... ".

جـ- أداة التشبيه: كأن.

د- وجه الشبه: محذوف، وتقديره: الاستدارة والسير على هدى في الظلام فالثريا تحث على السير في الظلام كما يحث الحداء في الهودج الناقة على السير في الليل.

وجاء تشبيه آخر في البيت الثاني في قوله: كأن بريقها قوارير زئبق بترجرج.

أركان التشبيه هي:

أ- المشبه: بريقها.

ب- المشبه به: قوارير فيها زئبق يترجرج.

جـ- أداة التشبيه: كأن.

د- وجه الشبه: اللمعان والحركة.

فهو يشبه أشعة الثريا اللامعة المتحركة بصفاء القوارير الزجاجية يتحرك فيها الزئبق الذي لا يثبت على حال.

3 - التشبيه في قوله: "وجيش كمثل الليل ... ".

أركان التشبيه هي:

أ- المشبه: الجيش.

ب- المشبه به: الليل.

جـ- أداة التشبيه: مثل.

د- وجه الشبه: ضخم كثيف تلمع فيه الأضواء.

فالشاعر يشبه كثافة الجيش وضخامته تلمع فيه السيوف والأسلحة مثل كثافة الليل البهيم تلمع فيه النجوم والشهب

(2) اكتب الأبيات التالية نثراً بأسلوبك"

1 - قال صفي الدين الحلى:

الورد في أعلى الغصون كأنه ملكٌ تحف به سراة جنوده

وانظر لنرجسه الشهي كأنه طرفٌ تنبه بعد طول هجوده

2 - وقال آخر:

كأن الأقحوان وقد تبدت محاسنه فراقت كل عين

عماد زبرجدٍ، وقباب تبر تحف بها شرفات اللجين

3 - وقال آخر:

فجرى النهر وهو يشبه سيفاً في رياض كأنها أجفان

4 - وقال غيره:

والشمس من مشرقها قد بدت مشرقة ليس لها حاجب

كأنها بوتقة أحميت يجول فيها ذهب ذائب

5 - وقال آخر:

وكأن أجرام النجوم لوامعا درٌ نثرن على بساطٍ أزرق

الإجابة على تمرين (2)

1 - معنى قول صفي الدين الحلى في بيتيه:

فالشاعر في البيت الأول يشبه الورد في أعلى الأغصان التي تلتف حولها الأوراق والأشواك والبراعم والفروع مثل الملك في سلطانه وتاجه على عرشه وحول الحاشية والجنود، والسراة والفقراء والطلاب والمسئولون.

والشاعر في البيت الثاني يشبه النرجس حول الورد بالعيون اليواقظ التي تبرق بعد يوم طويل وراحة تامة، فكأنها تراقب ما حوله رعايةً وإعجاباً.

2 - يشبه الشاعر الأقحوان بعد أن سحرت محاسنه العيون الجميلة الحوراء بالزبرجد في نفاسته وسحره وجماله، أو بالقباب الذهبية وهي تنعكس على سطحها أشعة بيضاء ناصعة كالفضة تحفها من كل جانب كالشمس تحيط بها أشعتها الصافية التي تخطف الأبصار.

3 - يشبه الشاعر النهري الجاري في نبعه الصافي بالسيف اللامع وسط رياض كثيف الأشجار والخضرة والورود والأزهار تلتف كالأكفان حول السيف الذي يشبه في لمعانه وسحره العين الحوراء الشديدة البياض والسواد بالبوتقة الشديدة الاحمرار المملوءة ذهباً يجول فيها ويتحرك ويتقد من شدة النار التي أحميت تحتها ومن حولها بجامع الاحمرار الشديد والحركة المتقدة في كل من المشبه والمشبه به.

4 - يشبه الشاعر الشمس حين تبدو مشرقة متوهجة اللهيب تختفي حولها السحب والأجرام الأخرى.

5 - يشبه الشاعر النجوم وهي تلمع منثورة في أديم السماء القاتم كأنها حبات در من ذهب وفضة منثورة على بساط جميل قاتم بجامع اللمعان والصفاء منثوراً على مساحة قاتمة تزيدها لمعاناً وظهوراً.

(3) عين كل تشبيه في الأبيات التالية، وبين أركانه، ثم انثر الأبيات مستعملاً أداة تشبيه غير التي استعملها الشاعر:

1 - قال عبد الله بن المعتز:

انظر إلى حسن هلال بدا يهتك من أنواره الجندسا

كمنجل قد صيغ من فضةٍ يحصد من زهر الدجى نرجساً

2 - وقال:

والنجم في الليل البهيم تخاله عيناً تخالس غفلة الرقباء

والصبح من تحت الظلام كأنه شيب بدا في لمة سوداء

3 - وقال البحتري:

يمشون في زعف كأن متونها في كل معركة منون بهاء

بيض تسيل على الكماة بصولها سيل السراب بقفرة بيداء

فإذا الأسنة خالطتها خلتها فيها خيال كواكب في الماء

4 - وقال جميل بن معمر:

غراء مبسام كأن حديثها درٌّ تحدر نظمه منثور

5 - وقال بعض الشعراء في يوم من أيام الربيع:

هذي البسيطة كاعب أبرادها حلل الربيع وحليها النوار

وكأن هذا الجو فيها مغرم به قد شفه التعذيب والأجزار

فإذا شكا فالبرق قلب خافق وإذا بكى فدموعه الأمطار

الإجابة على تمرين (3)

1 - التشبيه في قول عبد الله بن المعتز: فقد شبه الشاعر الهلال وهو يبدد الظلام من حوله بمنجل من فضة يحصد النرجس في جوف الليل

أركان التشبيه هي:

أ- المشبه: الهلال وسط الظلام.

ب- المشبه به: المنجل من فضة في حديقة النرجس ليلاً.

جـ- أداة التشبيه: الكاف.

د- وجه الشبه: الضوء اللامع يبدد القتام من حوله.

استعمال أداة أخرى غير الكاف:

كأن الهلال اللامع وهو يبدد الظلام بأنواره من حوله ويهتك أستار القتام منجل مصنوع من فضة كالسيف يحصد أزهار النرجس في وسط حديقة كثيفة اشتمل عليها ظلام الليل من كل جانب.

2 - يشبه الشاعر النجم وهو يلمع في الليل البهيم بالعين التي تختلس النظرات بين حين وآخر حين يغفل الرقيب من وقت لآخر.

كما يشبه الصبح يتنفس من بين غياهب الظلام بالشعر الأبيض الذي يسري في سواد الشعر أثناء المشيب.

أركان التشبيه هي:

في البيت الأول

أ- المشبه: النجم في الليل البهيم.

ب- المشبه به: عينا تخالس الرقباء.

جـ- أداة التشبيه: تخاله.

د- وجه الشبه: الشيء يظهر حيناً ويغفو حيناً.

في البيت الثاني:

أ- المشبه: الصبح تحت الظلام.

ب- المشبه به: الشيب.

جـ- أداة التشبيه: كأنه

د- وجه الشبه: البياض ينتشر بين السواد.

استعمال أداة غير (تخال)، (كأن).

والنجم في الليل البهيم كأنه عيناً تخالص غفلة الرقباء

والصبح من تحت الظلام تخاله شيب بدا في لمة سوداء

3 - التشبيه في البيت الأول: كأن متونها في كل معركة منون بهاء، وفي البيت الثاني بيض تسيل كسيل السراب.

وفي البيت الثالث: الأسئلة المتحركة خلتها خيال كواكب في الماء.

أركان التشبيه هي:

في البيت الأول:

أ- المشبه: المتون.

ب- المشبه به: منون بهاء.

جـ- أداة التشبيه: كأنه.

د- وجه الشبه: اتصال الشيء وتماسكه وترابطه ترابطاً شديداً كترابط وتلاحم المتون واتصال أيام الدهر بعضها ببعض.

في البيت الثاني:

أ- المشبه: بيض تسيل.

ب- المشبه به: سيل السراب.

جـ- أداة التشبيه: محذوفة، وتقديره "كسيل السراب" "الكاف".

د- وجه الشبه: تعاقب ظهور الشيء واختفائه من حين لآخر كالسراب الذي يظهر ويختفي "وهو تشبيه بليغ".

في البيت الثالث:

أ- المشبه: الأسنة المختلطة بعضها ببعض

ب- المشبه به: خيال كواكب في الماء.

جـ- أداة التشبيه: خلتها.

د- وجه الشبه: حركة الشيء اللامع واختلاطه.

استعمال أداة أخرى في كل بيت:

يمشون في زعف تخال متونها منون بهاء، في كل معركة.

بيض تسيل على الكماة مثل سيل السراب في صحراء قاحلة.

ترى الأسنة المتحركة كأنها خيال الكواكب في الماء.

4 - التشبيه في بيت جميل بن معمر يكون في حديثها كالدر المنثور يتحدر من فمها.

أركان التشبيه هي:

أ- المشبه: حديثها.

ب- المشبه به: الدر المنثور.

جـ- أداة التشبيه: كأن.

د- وجه الشبه: السيولة والتناسق الإيقاعي العذب الجميل.

استعمال أداة أخرى في البيت.

حديث حبيبته كالدر المنثور الذي ينساب من فمها في نغم إيقاعي ساحر وموسيقى شجية عذبة.

5 - التشبيه في التمرين الخامس والأخير يقوم على تشبيه الطبيعة الجميلة في فصل الربيع بالفاتنة الحسناء الكاعبة حين تتزينا (ص 29) بحلل من الرياض والزهور وتضع على جيدها عقد من النوار.

لذلك أصبح جو الطبيعة الفاتنة في الربيع كالعاشق الذي شفه إقبال الحبيب تارة والإعراض عنه تارة أخرى، وفي الإقبال والإعراض الفتنة والجمال.

وأصبحت شكوى العاشق كالبرق الخافق، ودموعه كالأمطار الغزيرة

أركان التشبيه هي:

في البيت الأول:

أ- المشبه: البسيطة، أي الطبيعة في وقت الربيع.

ب- المشبه به: الفاتنة الكاعب الجميلة.

جـ- أداة التشبيه: محذوفة وتقديرها: البسيط كالكاعب.

د- وجه الشبه: تناسق عناصر الجمال في حجمه وشكله وألوانه.

في البيت الثاني:

أ- المشبه: جو لطبيعة الجميل الجذاب.

ب- المشبه به: العاشق وقد شفه التعذيب والأجزار.

جـ- أداة التشبيه: كأن.

د- وجه الشبه: الجمال في تتابع الإقبال والإعراض.

في البيت الثالث:

أ- المشبه: الشكوى- والبكاء بالدموع.

ب- المشبه به: البرق الخافق- والأمطار.

جـ- أداة التشبيه: محذوفة في التشبيهين، وهي الكاف أو غيرها.

د- وجه الشبه: في التشبيه الأول: اضطراب الشيء وخفقانه، وفي التشبيه الثاني: تدفق الشيء وتتابعه.

استعمال أدوات أخرى غير المذكورة في الأبيات.

هذي البسيطة مثل الكاعب التي ارتدت بأزياء الربيع الجميلة.

الجو في الطبيعة صار كالمغرم العاشق الذي أمتعه وصل الحبيب وتمنعه.

فالشكوى مثل البرق الخافق، وتخال الدموع كالامطار الغزيرة.

* * *

تدريب:

1- وقصائد مثل الرياض أضعتها ... في باخل ضاعت به الأحساب

2- انظر إلى حسن هلال بدا ... يهتك من أنواره الحندسا[1]

كمنجل قد صيغ من فضة ... يحصد من زهر الدجا نرجسا

3- والدهر كالبحر لا ينفك ذا كدر ... وإنما صفوة بين الورى لمع

4- فإذا ركبت فإنني زيد الفوارس في الجلاد ... وإذا نطقت فإنني قس بن ساعدة الإيادي[2]

5- والبدر في أفق السماء كغادة ... بيضاء لاحت في ثياب حداد[3]

6- والليل في لون الغراب كأنه ... هو في حلوكته وإن لم ينعب[4]

7- قال علي كرم الله وجهه: مثل الذي يعلم الخير، ولا يعمل به، مثل السراج الذي يضيء للناس ويحرق نفسه.

8 قال صاحب "كليلة ودمنة": الدنيا كالماء المالح، كلما ازددت منه شربا، ازددت عطشا.

---

(1)- الحندس: الليل الشديد الظلمة.

(2)- زيد الفوارس: زيد الخيل، أحد الصحابة، كان له خمس أفراس، سماه رسول الله: زيد الخير، وقس أحد خطباء العرب

(3)- الحداد: الحزن.

(4)- النعيب: صوت الغراب، والحلوكة: السوداء

الإجابة:

1- المشبه القصائد، مفرد محسوس، المشبه به الرياض مفرد محسوس الأداة مثل، وهو تشبيه مرسل، الوجه الحسن والجمال، مجمل غير تمثل الغرض تزيين المشبه.

2- المشبه الهلال مفرد محسوس مقيد، المشبه به المنجل مفرد محسوس مقيد، الأداة الكاف، تشبيه مرسل، الوجه إزالة شيء مظلم، مجمل غير تمثيل تزيين المشبه.

3- المشبه الدهر مفرد معقول، المشبه به البحر مفرد محسوس، الأداة الكاف تشبيه مرسل، الوجه الكدر غالبا مجمل غير تمثيل، الغرض بيان حاله.

4- المشبه ضمير المتكلم مفرد محسوس، المشبه به زيد الفوارس مفرد محسوس والأداة محذوفة مؤكد، الوجه الجلاد مفصل غير تمثيل، الغرض بيان حال المشبه ومثله البيت الثاني.

5- المشبه البدر مفرد مقيد محسوس، المشبه به حسناء في ثياب حداد مفرد محسوس مقيد، الأداة الكاف مرسل، الوجه بياض يعلوه سواد مجمل غير تمثيل والغرض بيان مقدار حال المشبه به، وهو تشبيه مقلوب.

6- المشبه ضمير الليل مفرد محسوس، المشبه به الغراب مفرد محسوس، الأداة كأن، مرسل، الوجه الحلوكة والسواد مفصل غير تمثيل، الغرض بيان مقدار حاله.

7- المشبه الذي يعلم الخير ولا يعمل به مفرد مقيد محسوس، المشبه به السراج الذي يضيء للناس ويحرق نفسه مقيد محسوس، الأداة مثل تشبيه مرسل، الوجه نفع غيره وحرمان نفسه، مجمل غير تمثيل الغرض تقبيح حال المشبه.

8- المشبه الدنيا مفرد محسوس، المشبه به الماء المالح مفرد مقيد محسوس، والأداة الكاف وهو تشبيه مرسل، الوجه عدم الفائدة مجمل غير تمثيل، الغرض تقبيح حال المشبه

المبحث الثاني

الحقيقة والمجاز

تعريف الحقيقة:

الحقيقة في اللغة:

فعيلة من حقَّ الشيـــء إذا ثبتَ، قال تعالى: {لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَى أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ} (سورة يس7) أي: لقد ثبت القول.

الحقيقة في الاصطلاح:

الحقيقة: هي الكلمةُ المستعملةُ فيما وضعت له في اصطلاحٍ به التخاطب.

فالحقيقة إذن: هي اللفظُ المفرد الدال على معناه الذي وُضِعَ له في الأصل، وهو المعنى المعجمي الذي يصطلح عليه الناس في لغتهم، ويتبادر إلى أذهانهم حين سماعهم له.

تعريف المجاز:

المجاز في اللغة:

مصدر فِعْلِ "جَازَ" يقال لغة: جاز المسافر ونحوه الطريق، وجاز به جَوْزاً وجوازاً ومجازاً، إذا سار فيه حتى قطعه.

المجاز في الاصطلاح:

هو الكلمة المستعملة في غير ما وُضعت له، في اصطلاح التخاطب، على وجهٍ يصحُّ، مع قرينةِ عدمِ إرادةِ المعنى الحقيقي.

فالمجاز هو الانتقال من المعنى الحقيقي للكلمة- وهو المعنى الذي تثبته القواميس- إلى معنى آخر له به اتصال، ولكن لا بدَّ من وضع قرينة تدلّ على هذا المعنى الثاني المقصود.

العلاقةُ:

هي المناسبةُ بين المعنَى الحقيقيِّ والمعنى المجازيِّ، قد تكونُ (المشابهةَ) بين المعنيينِ، وقد تكونُ غيرَها، فإذا كانتِ العلاقةُ (المشابهةَ) فالمجازُ (استعارةٌ)، وإلا فهو (مجازٌ مرسلٌ).

العلاقة: هي الشيء الذي يربط بين المعنى الأصلي للفظ، والمعنى المجازي، كالشجاعة في قولك: (رأيتُ أسداً يضربُ بسيفه) فالأسد هنا لا يُقصد به الحيوان؛ وإنما يُقصد به الرجل الشجاع، إذاً فقد انتقل من معناه الحقيقي إلى المعنى المجازي، والعلاقة هي الشجاعة.

القرينةُ:

هي المانعةُ من إرادة المعنى الحقيقيِّ، قد تكون لفظيةً، وقد تكونُ حاليةً.

القرينة: هي التي تمنع الذهن من أن ينصرف إلى المعنى الوضعي الأصلي للفظ، مثل قولك: (يضربُ بسيفه) في قولك: (رأيتُ أسداً يضربُ بسيفه)؛ لأن الأسد لا يضرب بالسيف، فعُلِم أن المقصود باللفظ مجازُه لا حقيقته؛ لأن الأسد لا يضرب بالسيف.

معنى الوضع:

هو أن يصطلح قومٌ على أن يضعُوا لكلِّ معنىً كلمةً تدلُّ عليه، وهذا هو الوضع الذي يُسمّى حقيقة.

- استعمال (أسد) للحيوان المفترس فهو حقيقة لغوية، وإذا استعمل للدلالة به على الرجل الشجاع فهو مجاز، وعلاقته المشابهة، فهو من نوع المجاز بالاستعارة.

- دلالة كلمة (البحر) على ذلك القسم المائي من الأرض حقيقة لغوية، وإذا استعمل للرجل الكريم فهذا هو المجاز.

- دلالة كلمة (الشمس) على هذا الجرم المضيء فهو حقيقة لغوية، وإذا استعمل للمرأة الجميلة فهذا هو المجاز.

قرينة المجاز:

دليلٌ مساعدٌ من جهة اللغة أو العقل أو الحال، تكون وظيفته تحديد المراد، وإزالة الالتباس.

وتنقسم القرينة إلى نوعين أساسيين:

1- قرينة مقالية.

2- قرينة حالية.

فأما القرينة المقالية، فتنقسم إلى: قرينة لفظية، وقرينة معنوية.

- مثال **القرينة اللفظية**:

رأيتُ أسداً يخطبُ على المنبر.

فعبارة (يخطبُ على المنبر) قرينة لفظية دلّت على أن المقصود بالأسد الرجل الشجاع.

- مثال **القرينة المعنوية**:

محبّتُك جاءت بي إليك.

فمعلوم بالعقل أنّ المحبّة لا تجيء.

وأما **القرينة الحالية**: فهي التي تُعرف من خلال العادة وأحوال الناس في حياتهم.

- مثال ذلك: بنى الأمير قصراً.

ومعروف بالعادة والعرف أن الأمير لا يقوم بعملية البناء، وإنما يقوم به البناؤون، فدلَّ ذلك على المجاز.

أهداف المجاز:

وقد أشـــار البلاغيون إلى أن خروج المتكلم من الحقيقة إلى المجاز يحقِّق أهدافاً كثيرة، لعل أبرزها: التوسُّع، والتشبيه، والتوكيد.

أنواع المجاز:

ينقسم المجاز إلى قسمين: مجاز لغويٌّ، ومجاز عقليٌّ.

1- المجاز اللغوي:

هو نقل الكلمة من معناها الحقيقي (المعجمي) الذي وُضــع لها في الأصـــل إلى معنى جديد، لوجودِ علاقة بين الأول والثاني، ووجود قرينة تمنع المعنى الأول، وتدلّ على المعنى الثاني.

والمجاز اللغوي نوعان:

أ- الاستعارة: وتكون العلاقة بين المعنى الحقيقي والمعنى المجازي هي المشابهة.

قال ابن العميد يصف غلاما قام يظلله من حر الشمس:

قامتْ تُظَلِّلُنِي منَ الشمسِ ... نفسٌ أحَبُّ إليَّ من نَفْسِي

قامت تُظَلِّلُنِي ومن عَجَبٍ ... شمسٌ تُظَلِّلُنِي من الشَّمسِ

اســـتخدم الشـــاعر في البيت الثاني لفظة (الشـــمس) مرتين؛ مرة بالمعنى الحقيقي وهو الشـمس المعروف في السـماء، ومرة بالمعنى المجازي وهو وجه الممدوح المشرـق، ويلاحظ بين المعنى الأول والمعنى الثاني تقارب وعلاقة هي علاقة المشـــابهة، ولا يمكن أن تظللني شـــمس من الشمس؛ لأن الشمس الحقيقة لا تُظلِّل، فكلمة (تُظَلِّلُنِي) تمنع من إرادة المعنى الحقيقي، فالقرينة تدلك على أن المعنى المقصود هو المعنى الآخر وهو المدح، فالمجاز هنا استعارة.

ب- المجاز المرسل: وتكون العلاقة بين المعنى الحقيقي والمعنى المجازي غير المشابهة.

قوله تعالى: {فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ} (سورة البقرة: 185)

فالمجاز هنا في لفظة (الشـهر) والشـهر لا يشـاهد، وإنما الذي يشـاهد هو (الهلال) الذي يظهر أول ليلة في الشهر، والهلال سبب في وجود الشهر، فإطلاق الشهر عليه مجاز مرسل علاقته (السببية).

2- المجاز العقلي:

ويسـمى كذلك (المجاز الحُكْمِي) و (المجاز الإسـنادي)، وهو اسـناد الفعل أو ما في معناه إلى غير فاعله الحقيقي لعلاقة بينهما.

مثال ذلك: جرى النهرُ.

مجاز عقلي؛ لأن كلمتي (جرى) و(النهر) لم تخرجا عن معناهما الحقيقي، ولكن حدث المجاز بإســناد الجريان إلى النهر؛ ومعلوم بالعقل أنّ الجريان يكون للماء، وأما العلاقة في هذا المجاز فهي (المكانية)، لكون النهر هو مكان جريان الماء.

المطلب الأول

الاستعارة

تعريف الاستعارة:

الاستعارة في اللغة:

الاســتعارةُ في اللغة: طلبُ شيءٍ ما للانتفاع به زمناً ما دون مقابل، على أن يَرُدَّه المســتعير إلى الْمُعِير عند انتهاء المدّة الممنوحة له، أو عند الطلب.

الاستعارة في الاصطلاح:

استعمال لفظٍ ما في غير ما وُضِع له في اصطلاحٍ به التخاطب، لعلاقة المشابهة، مع قرينة صارفةٍ عن إرادة المعنى الموضوع له في اصطلاحٍ به التخاطب.

هي اســتعمالُ اللفظ في غير ما وضــعَ له لعلاقةِ (المشــابهةِ) بين المعنَى المنقولِ عنه والمعنَى المســتعملِ فيهِ، مع (قرينةٍ) صــارفةٍ عن إرادةِ المعنَى الأصــليِّ، (والاســتعارةُ) ليســت إلا (تشبيهاً) مختصراً، لكنها أبلغُ منهُ.

كقولك: رأيتُ أسداً في المدرسةِ.

فأصـلُ هذه الاسـتعارةِ «رأيتُ رجلاً شـجاعاً كالأسـدِ في المدرسـةِ» فحذفتَ المشـبهَّ «لفظُ رجلٍ» وحذفتَ الأداةَ الكاف- وحذفتَ وجهَ التشبيهِ «الشجاعةَ» وألحقتهُ بقرينةٍ «المدرسةِ» لتدلَّ على أنكَ تريدُ بالأسدِ شجاعاً.

فالاسـتعارة- إذن- تجمع بين المجاز والتشـبيه، وسُـميت اسـتعارة لأننا في هذا الأسـلوب الجميل نستعير صفة من شيء ما قد عُرِفَ بها واشتهر إلى شيء آخر لم يُعرف بها ولم يشتهر.

والاسـتعارة أبلغ من التشـبيه؛ لأنها أكثر مبالغة في الدَّلالة على الصـفة من التشـبيه؛ ففي التشبيه مثلاً.

نقول: **فلانٌ يتحدَّثُ بكلام كالعسل**.

فأوجدنا فاصلاً بين المشبه والمشبه به، أي أنهما شيئان مختلفان، أما في الاستعارة.

فنقول: **فلانٌ يتحدَّثُ عسلاً.**

فكأنّ المشبه (الكلام) والمشبه به (العسل) اتَّحدا وأصبحا شيئاً واحداً، وهذه المبالغة هي التي جعلت الاستعارة أكثر بلاغة من التشبيه.

ومن لطائف التعبيرات قولُهُمْ في الاستعارة: تزوَّج المجاز التشبيه فتولّد منهما الاستعارة.

أركان الاستعارة:

وأركانُ الاستعارةِ ثلاثةٌ هي:

1- المستعارٌ منه- وهو المشبَّهُ بهِ.

2- المستعارٌ لهُ- وهو المشبَّهُ.

ويسميان طرفي الاستعارة.

3- المستعارٌ- وهو اللفظُ المنقولُ من الحقيقة إلى المجاز.

مثال ذلك: لقيتُ البدرَ والبحرَ.

المستعار: كلمة البدر.

المستعار له: الجمال والحسن.

المستعار منه: وهو القمر المعروف.

المستعار الثاني: كلمة البحر.

المستعار له: الكرم.

المستعار منه: وهو تلك البقعة من الماء.

أنواع الاستعارة:

قسَّـم البلاغيون الاسـتعارة إلى أقسـام كثيرة، وذلك بالنَّظر إلى جوانبَ مختلفة فيها، وقد كان حرص البلاغيين على الإكثار من هذه التقسـيمات من أجل زيادة الإيضـاح، وبيان الفروق الدقيقة بين أنواعها.

أولاً: تقسيم الاستعارة بحسب طرفيها.

يقسم البلاغيون الاستعارة بحسب طرفيها (المشبه) و (المشبه به) إلى قسمين: تصريحية، ومكنية.

1- الاستعارة التصريحية:

وهي التي يُصَرَّحُ فيها بالمشبه به، ويُحْذَفُ المشبه.

الاستعارة هي تشبيه حُذِفَ أحد طرفيه (المشبه والمشبه به) فالشيء المحذوف إذن تارة يكون المشبه وتارة يكون المشبه به، فإذا حُذِفَ المشبه سُميت الاستعارة التصريحية، لأنه تصريح بالفظ المشبه به.

مثل: تكلَّم أسدٌ فوق المنبر.

الشيخ: مشبه.

الأسد: مشبه به.

والمذكور هنا المشبه به، وهو (الأسد)، والمحذوف هو المشبه (الشيخ)؛ لذا فهي استعارة تصريحية.

قال تعالى: {اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ} [الفاتحة:6].

والصراطُ الطريقُ، فقد شبَّه الدينَ بالصراطِ بجامعِ التوصيل إلى الهدفِ في كلٍّ منهما وحذفَ المشبَّه وهو الإسلامُ وأبقى المشبَّهَ بهِ.

وقوله تعالى: {كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ} [إبراهيم: 1].

فقد شبَّه الكفرَ بالظلماتِ والإيمانَ بالنورِ وحذفَ المشبَّه وأبقى المشبَّهَ به.

وكقول المتنبي:

ولم أرَ قبلي مَنْ مشَى البدرُ نحوهُ ... ولا رَجلاً قامتْ تعْانقُهُ الأسْدُ.

فكلمتي البدرِ والأسدِ مشبَّهٌ به في الأصلِ، وحُذِفَ المشبَّهُ، فالبدرُ لا يمشي والأسدُ لا تعانق.

قول الوأواء الدمشقي:

فَأَمْطرتْ لؤْلؤاً من نَرْجِسْ وَسَقَتْ ... وَرْداً وَعَضَّتْ على العُنَّابِ[1] بالبرَدِ

فهذا فيه خمسة تشبيهات: تشبيه دمعها باللؤلؤ في الصفاء، وعيونها بالنرجس في الجمال، وخدِّها بالورد في الحُمرة، وشفتها بالعُنّاب في اللون، وأسنانها البرد في الصفاء.

قال المتنبّي يصف دخول رسول الروم على سيف الدولة:

وَأَقْبَلَ يَمْشِي في الْبِسَاطِ فَمَا دَرَى ... إِلَى الْبَحْرِ يَسْعَى أَمْ إِلى الْبَدْرِ يَرْتَقِي

يقول أقبل الرسول يمشي إليك بين السماطين فتصور له منك البحر في السخاء والبدر في العلاء فلم يدر أنه يمشي إلى البحر أم إلى البدر.

---

(1)- شجرة مثل الزيتون.

أطلق المتنبّي في هذا البيت على سيف الدولة أنّه البحر، وأنّه البدر على سبيل الاستعارة التصريحية إذ صُرّح فيها بلفظ المشبّه به.

وإذا تأملتَ كل مجاز سبق َرأيتَ أنه تضمَّن تشبيهاً حُذِف منه لفظ المشبَّه واستعير بدله لَفْظ المشبَّه به ليقومَ مقامه بادعاء أنَّ المشبه به هو عينُ المشبَّه، وهذا أبعدُ مدى في البلاغةِ، وأدخَل في المبالغة، ويسمَّى هذا المجاز ا ستعارةً، ولما كان المشبَّهُ به مصرّحاً به في هذا المجاز سمّيَ استعارةً تصريحيةً.

2- الاستعارة المكنية:

وتسمَّى أيضاً: الاستعارة بالكناية: وهي ما حُذِفَ فيها المشَبَّهَ بهِ، وذُكر المشبه، ولكن لا بدَّ أن يدلَّ على المشبه به شيءٌ مِنْ صفاته أو لوازمه.

قال تعالى: {قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا} (سورة مريم: 4).

شبه الرأس بالوقود ثم حذف المشبه به، ورمز إليه بشيء من لوازمه، وهو اشتعل على سبيل الاستعارة المكنية، والقرينة إثبات الاشتعال للرأس.

قال أبو ذؤيب الهذلي:

وإِذَا المَنِيَّةُ أَنْشَبَتْ أَظفارَها ... أَلْفَيْتَ كلَّ تَمِيمةٍ لا تَنْفَعُ

أراد الشاعر تشبيه المنية (الموت) بالسَبُع (الحيوان المفترس)، الذي لا يفرِّقُ عند افترا سه بين الناس، وكذلك الموت لا يفرق بين الناس، ولكن حُذف المشبه به، ورُمز له بشيء من لوازمه وهو الأظفار، فسُمِّيت الاستعارة مكنية.

وقال الحجَّاجُ بن يوسفَ في أول خطبة بأهل الكوفة:

"أني لأرَى رُؤوُساً قَدْ أيْنعَتْ وحَانَ قِطافُها وإِنِّي لَصَاحِبُهَا "

فإنَّ الذي يفهَمُ منه أَن يشبِّه الرؤوسَ بالثمراتِ، فأَصلُ الكلام إِني لأرى رؤوساً كالثمراتِ قد أينعتْ، ثم حذف المشبَّه به فصار إني لأرى رؤوساً قد أينعتْ، على تخيُّلِ أن الرؤوسَ قد تمثلت في صورةِ ثمار، ورُمز للمشبَّه به المحذوف بشيء من لوازمهِ وهو أينعت، ولما كان المشبَّه به في هذه الاستعارةُ محْتجباً سميتِ استعارةً مكنيةً.

ثانياً: تقسيم الاستعارة بحسب الكلمة التي تقع فيها.

الاستعارة بحسب الكلمة التي تقع فيها نوعان: أصلية، وتبعية.

1- الاستعارة الأصلية:

وهي التي يكون اللّفظ المستعار فيها اسماً جامداً، مثل: "أسد - بدر - شمس - ظبي" ونحوها.

قال تعالى: {اللّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُواْ يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّوُرِ} (سورة البقرة: 257)

فالاستعارة في كلمة (النور) وقد استعيرت للإيمان، وفي كلمة (الظلمات) التي استعيرت للكفر، والكلمتان (النور) و(الظلمات) جامدتان، فكل منهما استعارة أصلية.

قال أبو الحسن التهامي يرثي ابنه:

يَا كَوْكَباً مَا كَانَ أَقْصَرَ عُمْرهِ ... وَكَذَاكَ عُمْرُ كَوَاكِبِ الأَسْحَارِ.

فقد شبه الشاعر ابنه بالكوكب بجامع صغر الجسم وعلوّ الشأن في كل منها، ثم استعار اللفظ الدال على المشبه به (الكوكب) للمشبه (الابن) على سبيل الاستعارة التصريحية.

واللفظ المستعار (الكوكب) اسم جامد غير مشتق.

2- الاستعارة التبعية:

وهي التي يكون اللفظ المستعار فيها مشتقاً أو فِعْلاً.

والمشتقات هي: الفعل المتصرف، واسم الفاعل، واسم المفعول، والصفة المشبه، واسم المصدر، واسما الزمان والمكان، واسم الآلة، واسم التفضيل.

قال تعالى: {وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ} (سورة فاطر: 19)

الاستعارة في كلمة (الأعمى) و(البصير)، فقد استعار الأعمى للكافر، والبصير للمؤمن؛ لأن الكافر يسير على غير بصيرة، فهو كالأعمى، وأما المؤمن فيعرف الأشياء فهو كالبصير.

وكلمتا (الأعمى) و(البصير) مشتقان، فالاستعارة تبعية.

قال تعالى: {وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الأَلْوَاحَ وَفِي نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ} (سورة الأعراف: 154)

فقد شبه انتهاء الغضب عن سيدنا موسى عليه السلام بالسكوت، بجامع الهدوء بينهما، ثم استعير اللفظ الدال على المشبه به، وهو (السكوت) للمشبه، وهو (انتهاء الغضب) ثم اشتق من السكوت بمعنى انتهاء الغضب (سكت) الفعل، فالاستعارة تبعية.

قال تعالى: {وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ} (سورة الحاقة: 6)

المشبه: شدة الريح.

المشبه به: العتوّ.

شـبهت الريح بالعتو، بجامع مجاوزة الحد في كل منهما، واسـتعير العتو للريح الشـديدة المدمرة.

لاحظ أنه اشتق من العتو: عاتية، أي مدمرة على سبيل الاستعارة التبعية.

ثالثاً: تقسيم الاستعارة بحسب توافق الطرفين.

تنقسم الاستعارة بحسب توافق الطرفين إلى قسمين: وفاقية، وعنادية.

1- الاستعارة الوفاقية:

وهي الاستعارة التي يمكن اجتماع طرفيها المستعار منه والمستعار له في شيءٍ واحد.

وأغلب الاستعارات- في العادة- من هذا النوع.

قال الله عزَّ وجلَّ: {أَوَ مَن كَانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُوراً يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ}. (سورة الأنعام: 122)

في الآية اسـتعارةٌ وفاقية في قوله: (أَحْيَيْنَا)؛ حيث شـبّه الإنسـان المهتدي بالحيّ، والهداية والحياة أمران مُتوافقتان، مما يجوز اجتماعهما عقلاً.

وقال تعالى: {وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ} (سورة التكوير: 18)

حيث شـبّه الصـبحَ بكائن حيٍّ، بقرينة (يتنفس)، وطرفا الاسـتعارة هما (الصـبح) و(الكائن الحيّ)، وهما لفظان موافقان، ولا مانع من التقائهما عقلاً، فهي إذن استعارة وفاقية.

2- الاستعارة العناديَّة.

وهي الاستعارة التي لا يجتمع طرفاها المستعار منه والمستعار له في شيء واحد.

قال الله عزَّ وجلَّ: {أَوَ مَن كَانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُوراً يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ}. (سورة الأنعام: 122)

فقد شبّه الإنسان الحيّ الضال بالميّت، و(الحياة) و(الموت) متنافران، لا يمكن اجتماعهما عقلاً، فهي إذن استعارة عنادية.

وقد تستخدم الاستعارة العنادية للدَّلالة على أغراض معنوية منها:

أ- السُّخرية والتَّهَكُّم:

فقد يسمى الشيء بعكس اسمه لغرض السُّخرية والتهكم.

قال تعالى: {فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ} (سورة الانشقاق: 24) أي (أنذرهم)

فا ستعيرت كلمة (فَبَشِّرْهُم) التي هي الخبر السّار، للإنذار الذي هو ضده بإدخال الإنذار في جنس البشارة، على سبيل التهكم والاستهزاء.

وكقوله تعالى: {.. فَاهْدُوهُمْ إِلَىَ صِرَاطِ الْجَحِيمِ} (سورة الصافات: 23)

فاســتعيرت كلمة (فَاهْدُوهُمْ) بطريق التهكم، لأن الهداية تكون إلى طريق النعيم لا الجحيم.

كقول الأستاذ للطالب الكسول: أجب يا عبقري.

ففي كلمة (عبقري) اســتعارة عنادية، لأن القائل شــبّه الكســول بالعبقري (وهما أمران متنافران) كل ذلك من أجل السُّخرية والتهكم.

كقول عمرو بن معد يكرب: تحيَّةُ بَيْنِهِمْ ضَرْبٌ وَجِيعُ.

فقد اســتعار (التحيَّة) التي تكون عند الإكرام للدلالة بها على الإهانة التي من مظاهرها الضرب الوجيع، والغرض الهزء والسخرية والتهكم، وظاهر أن الإكرام والإهانة أمران متعاندان لا يجتمعان.

وكقول عنترة:

وسَيْفِي كَانَ فِي الْهَيْجَا[1] طَبِيباً ... يُدَاوِي رَأْسَ مَنْ يَشْكُو الصُّدَاعا

اســتعار فعل (يُداوِي) لَيَدُلَّ به على قَطْعِ رأس المقاتل الذي يشــكو الصُّــدَاع، ومعلوم أنَّ المداواة بالدُّواء تنافي قَطْعَ الرأس، فهما أمران متعاندان لا يجتمعان.

ب- التفائل:

فقد يشبه الشيء الذي ينفرُ منه الإنسان ويخافه بشيء آخر يناقضه من أجل التفائل.

ومن ذلك تسـمية العرب من لدغته الأفعى (سـليماً)، وسُـميت الصـحراء (مفازة)، فتشـبيه اللديغ بالسليم، والصحراء بالمفازة استعارة عنادية هدفها بعث التفاؤل في النفس.

(1)- الهيجاء: الحرب.

ج- التملّح والتظرّف[1]:

وذلك عندما يسمّى الشيء بنقيض اسمه لغرض المداعبة والمزاح.

كأن نسمّي القبيح جميلاً، فنقول مثلاً: **زارنا القمر، ورأيت أسداً**، وتقصد جباناً.

فقد شــبهنا الإنســان القبيح بالقمر، والجبان بالأســد، فكانت الاســتعارة عنادية من قبيل المزاح والمداعبة.

رابعاً: تقسيم الاستعارة من حيث اقتران طرفيها ببعض الصفات.

تنقسم الاستعارة بالنظر إلى اقترانها بما يلائم المستعار منه (وهو المشبه به) أو المستعار له (وهو المشبّه) أو عدم اقترانها بشيءٍ من ذلك إلى ثلاثة أقسام: مرشحة، ومجردة، ومطلقة.

1- الاستعارة المرشحة.

وهي التي اشتملت على بعض الخصائص أو الصفات التي تناسب (المشبه به).

كقولك: **خطب على المنبر بحرٌ لا شاطئ له**.

فهذه اسـتعارة مرشـحة، حيث شـبه الرجل العالم بالبحر، بجامع الاتسـاع والعمق، وزاد الصورة مبالغة بإضافة (**لا شاطئ له**) وهي من صفات المشبه به ويُطلق على هذه الصفة اسم الترشيح.

2- الاستعارة المجردة:

وهي التي اشتملت على بعض الخصائص والصفات التي تُناسب (المشبه).

كقولك: **خطب على المنبر بحرٌ يحمل سيفاً**.

شبه الرجل العالم بالبحر، ثم أضاف صفة (يحمل سيفاً)، وهي مما يناسب المشبه، ويطلق على هذه الصفة اسم التجريد.

3- الاستعارة المطلقة:

وهي التي جمعت بين التجريد والترشـيح، وذلك أن تقترن الاسـتعارة بخصـائص وصـفات تناسب كلاً من المشبه به والمشبه.

كقولك: **خطب على المنبر بحرٌ لا شاطئ له يحمل سيفاً**.

وتُسمّى الاستعارة مطلقة أيضاً حينما تتجرد من أي صفة تناسب المشبه به أو المشبه.

---

(1)- تطرف: تزين، تحلى.

كقولك: **خطب على المنبر بحرٌ.**

والاستعارة المرشحة هي أكثر هذه الأنواع الثلاثة مبالغة في التعبير عن الصفة المطلوبة، وهي المقدمة في هذا الباب، ثم تأتي المطلقة، ثم المجردة.

خامساً: الاستعارة التمثيلية.

تعريفُهُ:

هو تركيبٌ استُعْمِلَ في غير ما وُضِعَ له لِعلاَقَةِ المشابَهةِ مَعَ قَرينَةٍ مَانِعةٍ مِنْ إِرادةِ مَعْناهُ الأَصْليّ.

وتكثر الاستعارة التمثيلية في الأمثال السائرةِ، وما جرى مجرى المثل من الآيات الكريمة، والأحاديث النبوية الشريفة، وأبيات الشعر، وأقوال الحكماء.

- قال تعالى: {**إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاء إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ**} (80) سورة النمل

تضرب لمن يُخاطب من لا يفهم الحقائق.

- قول الرسول ﷺ: **لاَ يُلْدَغُ المؤمن من جُحْرٍ مرَّتَيْن.**

هذه العبارة النبوية تُسْتَعْمَل على سبيل "الاستعارة التمثيليّة" للتحذير من تكرار العمل الذي جَرَّ مُصِيبة في نفسٍ أو مالٍ، أو أفضى إلى أمْرٍ غير محمود.

- وكقول المتنبّي يصف الذي يَعِيب الشعر الرائع بسبب خَلَلٍ ذوقيّ لَدَيّه، يَجْعَلُهُ يرى الجميل قبيحاً، والكامل ناقصاً، والحسن سيِّئاً:

وَمَنْ يَكُ ذَا فَمٍ مُرٍّ مَرِيضٍ ... يَجِدْ مُرّاً بِهِ الْمَاءَ الزُّلالَ

هذا الكلام الذي يدلُّ معناه الأصلي على أنَّ المريض الذي يُفْرِزُ فَمُهُ مُفْرَزاتٍ مُرَّةً، يَجدُ الماءَ الزُّلال مُرّاً في فمه، وليس ذلك من مرارة الماء، بل من الأشياء المرَّة الَّتي يُفْرِزُها فَمُه، لكنَّ المتنّبي ا ستعار هذا الكلام على طوله للدلالة به على حال من ليس لديه ملكة إدْراك الشعر الرائع النفيس، فهو بسبب ذلك يَعِيبُ الحسَنَ الجيّد منه، ويَنْتَقِدُه بغير فهم، ولا حُسْنِ تَذَوُّق.

- إذا رأى الناس اجتماع جمهورٍ غفيرٍ على عالمِ أو واعظٍ أو زعيم، أو كثرةَ إقبالهم على سوقٍ من أسواق التجارة، تمثّل قائلهم بقول الشاعر:

والْمَوْرِدُ الْعَذْبُ كَثيرُ الزِّحَام

هذا القول يُسْتَخْدَمُ على سبيل "الاستعارة التمثيليّة" مراداً به غير معناه الأصلي الذي قاله الشاعر للدلالة به عليه.

- ويقال فيمن يعمل عملاً لا جدوى منه، ويَبْذُلُ فيه جَهْداً ضائعاً:

ينْفُخُ في رماد.

تَضْرِبُ في حَدِيدٍ بارِدٍ.

يَحْرُثُ في البحر.

فتُسْــتَعَارُ هذه الجمل وأمثالُها للدلالة بها على أنَّ العامل الَّذي يُتَحَدَّثُ عنه يَعْمَلُ عملاً ضائعاً عَدِيمَ الأَثَرِ والنفع.

- ويُقال فيمن يَغْتَرُّ بمَنْ لا خير فيه، ولا نَفْعَ يُرْجَى لديه:

يَسْتَسْمِنُ ذَا وَرَمٍ.

- ويُقال لِمَنْ يُدْعَى لتحصـيل مطلوبه ضِـمْنَ العاملين الكثيرين الذين يعملون في أَمْرٍ مَا ليَحْصُـلوا منه على مطلوبهم المماثل لمطلوبه:

أَدْلِ دَلْوَكَ في الدِّلاَء.

مع أنه لا دلْوَ ولا بئر.

- ويُقالُ لِمَنْ يُنْصَحُ بأنْ يَتَّخِذَ من وسائل القوة مَا يَصْلُح لتحقيق تَغَلُّبه على الصِّعاب الشديدة الَّتي تواجهه:

إِنَّ الحَدِيدَ بِالْحَدِيدِ يُفْلَحُ.

يُفْلَحُ: أي: يُشَقُّ ويقطع.

- ويقال لمن يعمل جاهداً في إقامة الفروع قبل العمل بتأسيس الأصول:

مَنْ بَنَى على شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَبِنَاؤُه مُنْهَارٌ.

- ويقال لمن يَترْكُ العملَ زاعماً أنَّ التوكُّلَ على الله يكفيه، ما قال الرسـول ﷺ للأعرابي حين سـأله: أأعْقِلُ ناقتي يا رسول الله أم أتوكّل:

اِعْقِلْهَا وَتَوَكَّلْ.

- ويقال لمن يَنَالُ جَزَاءَ عَمَلِه الذي كان قد عمله خيراً أو شراً:

يَحْصُدُ ما زرع.

- ويقال لمن يَنْقُل كلُّ ما يَسْــمَع، أو يُدَوِّن في مؤلَّفَاتِه كلَّ ما يَطَّلعُ عليه دون تحقيق ولا تحرير ولا تمييز.

حَاطِبُ لَيْلٍ.

بلاغة الاستعارة:

سرّ البلاغة في الاستعارة كامنٌ في عدّة أمور منها:

الأول: تأليف الكلام ونظمه، فبوا سطتها يلجأ البليغ إلى اختيار الكلمات المنا سب للمعنى، وذلك باســتعارة الكلمة المناســبة للمقام، ثمَّ يضــعها في ســياقها الذي يحقِّقُ للمعنى الدِّقة والوضوح، وللتعبير البراعةَ والمجالَ.

الثاني: الاسـتعارة قائمة على التشـبيه؛ ولكنَّ فيها منسيٌّـ مجحودٌ؛ لأنها مبنية على ادِّعاء أنَّ المشبه هو عين المشبه به، وفي ذلك من المبالغة المحمودة التي يتطلَّبها الكلام الأدبي الجميل.

الثالث: تقوم الاسـتعارة على الإبداع وروعة الخيال، وبواسـطتها يسـتطيع البليغ التصرّـف في فنون القول، ورسم صُورٍ وتعبيراتٍ رائعة تثير المشاعر والنفوس، وتحرّك الأذهان والعقول، وترتقي بالكلام من المستوى اللغوي (المعجمي) إلى المستوى الأدبي (الفنِّي).

تدريب أول:

اجعل التشبيهات الآتية استعارة مصرحة أو مكنية مع بيان القرينة:

1- استذكرت كتابا كالصديق في المؤانسة.

2- اللسان كالسيف في الإيذاء.

3- انتثرت في السماء نجوم كالدرر.

4- في البحر سفن كالجبال في العلو

5- على الأشجار بلابل كالقيان في حسن الصوت.

6- في الغرفة ثريات كهربائية كالشمس في الإضاءة.

7- الكتاب صديق.

8- لفلانة أسنان كالبرد في البريق واللمعان.

9- عليّ كالغيث في العطاء.

10- هند كالبدر في الحسن والبهاء.

الإجابة:

استعارة تصريحية/ القرينة

1- استذكرت صديقا مطبوعا/ استذكرت

2- احذر سيفا بين فكيك/ بين فكيك

3- انتثرت درر في السماء/ في السماء

4- رأيت جبالا تمخر في الحبار/ تمخر في البحار

5- صدحت قيان على الأشجار/ على الأشجار

6- في الغرفة شموس مغلقة بالزجاج/ في الغرفة

7- عندي صديق في القمطر/ في القمطر

8- في فم فلانة برد منضد/ في فم

9- رأيت غيثا يعطي الدراهم والدنانير/ يعطي الدراهم

10- طلع علينا بدر بين أترابه/ بين أترابه

استعارة مكنية/ القرينة

1- استذكرت كتابا مؤنسا/ مؤنسا

2- احذر اللسان الغضب/ الغضب

3- نثرت نجوم مثقوبات في السماء/ مثقوبات

4- رأيت سفنا تتوجها الثلوج/ تتوجها الثلوج

5- صدحت بلابل تعزف بألحان مطربة/ تعزف بألحان

6- في الغرفة ثريات تشرق وتغرب/ تشرق وتغرب

7- عندي كتاب حميم/ حميم

8- لفلان أسنان يقدر قيمتها الجوهري/ يقدر قيمتها الجوهري

9- رأيت هندا تتلألأ بين أترابها/ تتلألأ

تدريب ثان:

أجر الاستعارة فيما يلي وبين نوعها وقرينتها:

1- فتى كلما فاضت عيون قبيلة ... دما ضحكت عنه الأحاديث والذكر

2- {إِنَّا لَنرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ}[1]

3- إذا انتضل القوم والأحاديث لم يكن ... عيبا ولا ربا على من يقاعد

4- فسمونا والفجر يضحك ... في الشرق إلينا مبشرا بالصباح

5- لسنا وإن أحسابنا كرمت ... يوما على الأحساب نكل

6- سأبكيك للدنيا وللدين إنني ... رأيت يد المعروف بعدك شلت

الإجابة:

1- في فاضت العيون وضحكت الأحاديث استعارتان، إما تصريحيتان أو مكنيتان، فعلى الأول يقال: شبه نزول الماء متدفقا بفيضان النهر بجامع الكثرة في كل، واستعير اللفظ الدال على المشبه به للمشبه، واشتق من الفيضان بمعنى صب الماء الكثير فاض بمعنى صب على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية، ودما تجريد؛ لأنها تناسب العيون، وشبهت المسرة والابتهاج بالضحك بجامع أريحية النفس في كل، وا ستعير اللفظ الدال على المشبه به للمشبه، وا شتق من الضحك بمعنى السرور ضحك بمعنى سر على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية والقرينة حالية،

(1)- سورة الأعراف الآية: 60

وعلى الثاني يقال: شبهت العيون بالأنهار بجامع جريان الماء الكثير من كل، وا ستعير اللفظ الدال على المشبه به للمشبه وحذف ورمز إليه بشيء من لوازمه، وهو فاض على طريق الاستعارة المكنية الأصلية، والقرينة نسبة الفيضان إلى العيون وهي الاستعارة التخييلية ودما تجريد أيضا، وشبهت الأحاديث بناس فرحين بجامع الأريحية والسرور لكل عند حصول ما يسر، واستعير اللفظ الدال على المشبه به للمشبه، وحذف ورمز إليه بشيء من لوازمه وهو ضحك على طريق الاستعارة المكنية الأصلية المطلقة.

2- شـــبه مطلق ارتباط بين متلبس بالضـــلالة ومتلبس به بمطلق ارتباط بين ظرف ومظروف بجامع التمكن في كل، فسرـــى التشـــبيه من الكليين "مطلق الارتباط" إلى الجزئيات "معاني الحروف" فاستعيرت "في" من الظرفية الحقيقية للظرفية المعنوية على طريق الاستعارة التصريحية التبعية، والقرينة على ذلك كلمة الضلال.

3- شبهت الأحاديث بالسهام بجامع التأثير ومباراة المتحادثين كما يتبارى الرماة في كل منهما، ثم اســتعير لفظ الســهام للأحاديث وحذف ورمز إليه بشيـــء من لوازمه وهو انتضـــل على ســـبيل الاستعارة المكنية، وكلمة عيبا تجريد؛ لأنها تناسب الأحاديث.

4- شبه الفجر بإنسان يبتسم، فتظهر أسنانه مضيئة لامعة بجامع البريق واللمعان، واستعار اللفظ الدال على المشـبه به للمشـبه، ثم حذفه وأشـار إليه بشيـء من لوازمه، وهو يضـحك على طريق الاستعارة بالكناية، وإثبات الضحك للفجر استعارة تخييلية.

5- في كلمة على اسـتعارة تصرـيحية تبعية، فقد شـبه مطلق ارتباط بين متلبس ومتلبس به بمطلق ارتباط بين مـستعل ومـستعل عليه بجامع التمكن والاستقرار في كل، ثم ا ستعيرت على من جزئي من جزئيات الأول الجزئي من جزئيات الثاني على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية.

6- شبه المعروف بإنسان له يد تعطي، والجامع البذل والعطاء في كل منهما ا ستعار اللفظ الدال على المشبه به للمشبه، ثم حذفه ورمز إليه بشيء من لوازمه وهو اليد على سبيل المكنية الأصلية المرشحة بكلمة شلت وإثبات اليد للمعروف استعارة تخييلية

المطلب الثاني

المجاز المُرْسَل

تعريف المجاز المرسل:

المجاز المرسـل: كلمة اسْـتُعْمِلَتْ في غير معناها الأصـلي لعلاقة غير المشـابهة مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الأصلي.

ويسمّى أيضاً: المجاز الإفرادي.

وأنه سُمِّيَ (مجازاً مُرْسلاً) لكونه مرسلاً عن التقييد بعلاقة المشابهة.

العلاقة: هي الشيء الذي يربط بين المعنى الأصـلي للفظ، والمعنى المجازي، كالشـجاعة في قولك: (رأيتُ أسـداً يضربُ بسـيفه) فالأسـد هنا لا يُقصـد به الحيوان؛ وإنما يُقصـد به الرجل الشجاع، إذاً فقد انتقل من معناه الحقيقي إلى المعنى المجازي، والعلاقة هي الشجاعة.

القرينة: هي التي تمنع الذهن من أن ينصرـف إلى المعنى الوضـعي الأصـلي للفظ، مثل قولك: (يضربُ بسيفه) في قولك: (رأيتُ أسداً يضربُ بسيفه)؛ لأن الأسد لا يضرب بالسيف، فعُلِم أن المقصود باللفظ مجازه لا حقيقته؛ لأن الأسد لا يضرب بالسيف.

مثال ذلك:

كاستعمال لفظ (الْيَد) بمعنى النّعمة، لعلاقة السببيّة.

واستعمال كلمة: (الْعَيْن) مراداً بها الجاسوس، لأنّ أعظم أدوات تجسُّسه عيْنُه.

واستعمال كلمة: (الأصابع) مراداً بها أطرافُها لعلاقة الكليّة والجزئيّة بينهما.

واستعمال كلمة: (الناس) مراداً بها قِسْمٌ منهم للعلاقة الترابطيّة بين العام وبعض أفراده.

علاقات المجاز المرسل:

وقد أحصىـ البيانيون ما يزيد على عشرـين علاقة من العلاقات التي يَسْـمَحُ كلٌّ واحد منها باستعمال المجاز المرسل، لدى وجوده بين المعنى الأصلي للّفظ، والمعنى الآخر الذي يُطْلَق عليه اللّفظ مجازاً.

ويمكن إجمالها في عشرة علاقات، وردُّ كثير من تلك العلاقات الأخرى إلى واحدةٍ من العشر التي سنذكرها في ما يأتي:

1- العلاقة السببية:

وهي أن يُذْكَرَ السَّبَبَ، ويُرادُ به الْمُسَبَّبُ، أو أن نُعبر بذكر السبب للدَّلالة على النتيجة.

مثل قوله تعالى: {فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ} (سورة البقرة: 185).

فالمجاز هنا في لفظة (الشهر) والشهر لا يشاهد، وإنما الذي يشاهد هو (الهلال) الذي يظهر أول ليلة في الشهر، والهلال سبب في وجود الشهر، فإطلاق عليه مجاز مرسل علاقته السببية.

وكقول المتنبيّ يمدح محمّد بن عُبَيْد الله العلوي:

لَهُ أَيَادٍ إِلَيَّ سَابِقَةٌ ... أَعُدُّ مِنْهَا وَلاَ أُعَدِّدُهَا[1].

أطْلَقَ لفظ (أيادٍ) وهي جمع (يَدٍ) بمعنى الإحسان، لأنّ عطاءات الإحسان تكون باليد، فهو من إطلاق السَّبَب وإرادة المسبّب.

وكقولك: هذا الظالمُ له يدٌ في هذا الفساد.

فكلمة (يد) مجاز مرسل، علاقته السببية، والمراد: هذا الظالم له تأثير في هذا الفساد؛ لأن التأثير يصدر عن اليد.

2- العلاقة الْمُسَبَّبِيّة:

وهي أن يُذْكَرَ الْمُسَبَّبُ، ويُرادُ به السَّبَبَ، وهي عكس العلاقة السببية.

كقوله تعالى: {وَيُنَزِّلُ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ رِزْقًا} (سورة غافر: 13).

عبر الله بالرزق عن المطر؛ لأن الرزق مسبَّبٌ عن المطر، والمطر هو السبب، فقوله (رزقاً) مجاز مرسل علاقته المسببية؛ لأن ذكر المسبب وأراد السبب، وبقرينة (يُنَزِّلُ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ).

وكقوله تعالى: {يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْءَاتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ذَٰلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ} (سورة الأعراف: 26)

فمعلوم أن السماء لا ينزل منها (اللباس) مباشرة، لكن ينزل الماء الذي يُسَبِّبُ الملابسَ، فهو مجاز مرسل، علاقته المسببية.

(1)- سابغة: يقال: أسبغ عليه النعمة: أكملها وأتمها.

وكقوله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا} (سورة النساء: 10).

فالمجاز في هذه الآية في كلمة (نَارًا) فسمّى الأموال التي تؤكل ظلماً ناراً؛ لأن هذه الأموال هي السـبب في أن يدخلوا النار وأن يأكلوها في بطونهم، فالنار دخولها مسـببة من أكل الأموال، فالمجاز مرسل والعلاقة مسببية.

3- العلاقة الجزئية:

هي أن يُذْكَرَ الجزءُ، ويُرادَ به الكُلُّ.

قال تعالى: {وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلاَّ خَطَئًا وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَئًا فَتَحْرِيرُ **رَقَبَةٍ** مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ إِلاَّ أَن يَصَّدَّقُواْ فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِّيثَاقٌ فَدِيَةٌ مُّسَـلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةً فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِـيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ اللّهِ وَكَانَ اللّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا} (سورة النساء: 92)

أطلق الله سـبحانه وتعالى لفظ (**رَقَبَة**)، وقصـد بها: المملوك من باب إطلاق الجزء، وإرادة الكلِّ، فكلمة (**رَقَبَة**) مجاز مرسـل، علاقته الجزئية، حيث ذكر الجزء وهو (**رَقَبَة**)، وأراد الكلَّ، وهو العبد.

قال تعالى: {أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللّهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَـجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْـلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّـمَاء} (سورة إبراهيم: 24).

أطلق الله سبحانه وتعالى لفظ (كَلِمَةً)، وقصد بها: كلاماً كثيرة، وهذا من باب إطلاق الجزء، وإرادة الكلّ، فكلمة (كَلِمَةً) مجاز مرسـل، علاقته الجزئية، حيث ذكر الجزء، وهو (كَلِمَةً)، وأراد الكلَّ، وهو الكلمات.

قال تعالى: {إِذْ تَمْشِ أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى مَن يَكْفُلُهُ فَرَجَعْنَاكَ إِلَى أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ **عَيْنُهَا** وَلَا تَحْزَنَ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَى قَدَرٍ يَا مُوسَى} (سورة طـه: 40)

فالمجاز في كلمة (عَيْنُهَا) وقد جاء التعبير بالعين ويراد النفس والجسم؛ لأنهما هما اللذان يهدآن لا العين وحدها، ولهذا يطلق الجزء وهو (العين) وأريد به الكلّ وهو (النفس والجسـم) وهذا مجاز مرسل علاقته الجزئية.

قال معن بن أوس المزني:

أعلِّمهُ الرِّمَايَةَ كُلَّ يومٍ ... فَلَمَّا اشْتَدَّ ساَعِدُهُ رَمَاني

وَكَمْ عَلَّمْتُهُ نَظْمَ الْقَوَافي ... فَلَمَّا قَال قَافِيَةً هَجَاني

ذكر الشـاعر لفظ (قافية)، وقصـد به: قصـيدةً، وهذا من باب إطلاق الجزء، وإرادة الكلّ، فكلمة (قافية) مجاز مرسـل، علاقته الجزئية، حيث ذكر الجزء، وهو (قافية)، أي: الحرف الأخير من كل بيت من الشعر، لكنه أراد الكلّ، وهي القصيدة.

4- العلاقة الكلية:

هي أن يذكرَ الكلُّ، ويُرادَ به الجزءُ.

قال تعالى: {قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا * فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا * وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا} (سورة نوح: 5،6،7).

فالمجاز في (أَصَابِعَهُمْ) فقد عبر عن الأنامل بالأصابع؛ لأن الإنسان لا يستطيع أن يضع أصابعه كلها في أذنه، فما يقضي به الشاهد، ويؤيد العرف أن الإنسان إذا أراد أن يغلق أذنه وضع أنامله فيها.

ولهذا نقول عبرّ بالكل وأراد الجزء، فالمجاز مرسل والعلاقة كلية.

قال تعالى: {يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ} (سورة آل عمران: 167)

المجاز في كلمة (أَفْوَاهِهم) فالإنسـان لا يتكلم بفمه وإنما يتكلم بلسـانه فإطلاق الأفواه على الألسنة مجاز مرسل علاقته الكلية.

ونحو: شربتُ ماءَ النيلِ.

أي: نريد بقولنا: بعض ماء النيل، فليس من المعقول أن يشربَ إنسانٌ ماء النيلِ كلَّه، والقرينة: شربت، وقد عبرنا بالكل وأردنا الجزء، فالمجاز مرسل والعلاقة كلية.

ونحو: سكنتُ مصرَ.

أي: نريد بقولنا: منزلا من منازلها، فليس من المعقول أن يسكنَ إنسانٌ مصرَ كلَّها، والقرينة: سكنت، وقد عبرنا بالكل وأردنا الجزء، فالمجاز مرسل والعلاقة كلية.

5- علاقة اعتبار ما كان:

وهي أن يسمّى الشيء باسم ما كان عليه في طور سابق، لا بما هو عليه طوره الحالي.

قوله تعالى: {إِنَّهُ مَن يَأْتِ رَبَّهُ **مُجْرِمًا** فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى} (سورة طـه: 74)

فالمجاز المرسـل في قوله: (مُجْرِمًا) لأنّ هذا الإنسـان لا يكون مجرماً في الآخرة، وإنما كان كذلك في الدنيا، فكانت العلاقة إذن اعتبار ما كان.

قوله تعالى: {وَآتُواْ الْيَتَامَى أَمْوَالَهُمْ وَلاَ تَتَبَدَّلُواْ الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ وَلاَ تَأْكُلُواْ أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيراً} (سورة النساء: 2)

فاليتيم في اللغة من مات أبوه وتركه دون البلوغ، والله تعالى لا يأمر بإتيان الأطفال أموالهم، وإنما يأمر بإعطائها لهم بعد أن يصلوا سن الرشد، لأنهم كانوا يتامى، فكلمة اليتامى إذن هنا مجاز مرسل علاقته اعتبار ما كان، إذ لا يُـتَـمٌّ بعد البلوغ.

ومثل: يلبسُ المصريُّونَ القُطْنَ.

غير معقول أن يلبس المصرـيون القطن بصـورته الأولى، أي: المادة الخام؛ بل الواقع أن يلبس القطن بعد تنظيفه وتصنيعه ونسجه، لذا فهذا مجاز مرسل، علاقته اعتبار ما كان؛ لأنه ذكر الماضي في الحاضر.

6- علاقة اعتبار ما يكون:

وهي أن يسمّى الشيء المستعمل باسم ما يؤول إليه في المستقبل.

قوله تعالى: {وَدَخَلَ مَعَهُ السِّـجْنَ فَتَيَانَ قَالَ أَحَدُهُمَآ إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا وَقَالَ الآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ} (سورة يوسف: 36).

فالمجاز في كلمة (الخمر)، فالخمر لا تعصر فهي سائل، وإنما يعصر العنب الذي يتحول إلى خمر، فالمجاز مرسل والعلاقة اعتبار ما يكون.

قوله تعالى: {قَالُواْ لاَ تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلامٍ عَلِيمٍ} (سورة الحجر: 53)

فالمجاز المرسـل في قوله: (عليم)؛ والغلام لا يُولَدُ عليماً؛ فعبر بالعلم مجازاً على اعتبار ما سيؤول إليه الأمر في المستقبل، فسمِّيت العلاقة إذن اعتبار ما يكون.

قوله تعالى: {إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ} (سورة الزمر: 30)

أي أنت وهم أحياء سـتموتون، فالآية نظرت إلى ما سـوف يصـير إليه كل إنسـان، فالمجاز مرسل والعلاقة اعتبار ما يكون.

7- العلاقة الآلية:

وهي أن تكون الكلمة المستعملة آلة للمعنى المراد؛ أي أن يُسمَّى الشيء باسم آلته.

قال تعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللّهُ مَن يَشَاء وَيَهْدِي مَن يَشَاء وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} (سورة إبراهيم: 4)

فالمجاز المرسل في قوله: (بِلِسَانِ) والمراد بلغتهم، واللسان هو آلة اللغة، فسُمِّيت العلاقة إذن الآلية.

قال تعالى: {قَالُوا فَأْتُوا بِهِ عَلَى أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ} (سورة الأنبياء: 61)

أي على مرأى منهم، والأعين هي آلة الرؤية، فالمجاز في كلمة (أَعْيُنِ) حيث أطلقت وأريد الأثر الناتج عنها وهو الرؤية، فهذا مجاز مرسل علاقته الآلية.

8- علاقة المجاورة:

وهي أن يسمّى الشيء المستعمل باسم ما يجاوره.

كقول عنترة:

فَشَكَكْتُ بالرُّمْح الأصَمِّ ثيَابَهُ ... لَيْسَ الْكَرِيمُ عَلَى الْقَنَا بِمُحَرَّمِ[1]

فلفظ (ثيابه) مجاز مرسل، أي: جسمه أو قلبه، حيث ذكر لفظ (ثيابه)، ولم يقصده بنفسه، وإنما قصد ما يجاوره، وهو الجسم أو القلب، وهذا من باب إطلاق الشيء على ما يجاوره، أي: الجسم أو القلب.

وكقولك: كثير من الناس لا يركبون البحر خشية أن يغرقوا فيه.

فالمجاز في (البحر) لأن البحر لا يركب، وإنما تركب السفينة، فقد ذكر البحر وأراد السفينة لعلاقة الجوار، فالمجاز مرسل وعلاقته المجاورة.

9- العلاقة المحلية:

وهي أن يُذكر المَحلُّ ويُراد به مَنْ به؛ أي أن يذكر المكان ويكون المقصود ما كان موجوداً بهذا المكان من موجودات.

---

(1)- الشَّكُّ: الشق والطعن، الأصمّ: الصَّلب.

يقول: فانتظمت برمحي الصلب ثيابه، أي طعنته طعنة أنفذت الرمح في جسمه وثيابه كلها، ثم قال: ليس الكريم محرمًا على الرماح، يريد أن الرماح مولعة بالكرام لحرصهم على الإقدام، وقيل: بل معناه أن كرمه لا يخلصه من القتل المقدر له.

قال تعالى: {وَاسْـــأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيْرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَـــادِقُونَ} (ســـورة يوسف: 82)

فالمجاز المرسل في قوله (القرية)؛ لأن القرية لا تُسأل، فكان المراد أهلها؛ لأن القرية هي المحلّ الذي يكون فيه الناس، فعبر بالمحل والمقصود الحال به، فسميت هذا العلاقة إذن علاقة المحلية.

كقوله تعالى: {فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ * سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ} (سورة العلق: 17،18).

فالمجاز في كلمة (نادية) فالنادي لا يدعى ولا يمكن أن يســتجيب فهو مكان، وإنما الذين يُدعَونَ هم المجتمعون في النادي، فالمجاز مرسل والعلاقة محلية.

ومثل: حكمتِ المحكمةُ بسجن المتهم فلان خمس عشرة سنة.

فكلمة (المحكمة) مجاز مرسل، علاقته المحلية، حيث ذكر المكان، وهو المحكمة، وأراد مَن به، وهو قاضي المحكمة.

10- العلاقة الحالية:

وهي أن يُطلق ا سم الحال ويُراد به المحل، أو أن ذُسمّى المكان با سم بعض ما يوجد فيه من أحوال.

قال تعالى: {وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّـــتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ} (ســـورة آل عمران: 107)

فالمجاز المرســـل في قو له (رحمة)؛ فقد أطلق الرحمة وهي الحال التي يكون عليها المؤمنون في الجنة يوم القيامة، وأراد بذلك المحل (الجنة)؛ فســـميت هذه العلاقة إذن علاقة الحالية.

مثل: جلستُ على القهوة.

أي في المكان الذي تُشرب فيه القهوة، لذا فهو مجاز مرسل علاقته الحالية، حيث يستعملُ الْمُحْدِثون القهوةَ للمكانِ الذي تُشربُ فيه.

ومثل: ذهب الظالمُ إلى منكرٍ ونكيرٍ.

فـــ (إلى منكر ونكير) مجاز مرسل علاقته الحالية، أي: ذهب الظالمُ إلى مكان منكر ونكير (القبر)؛ حيث عبر عن المكان بالموجودين.

تمرين أول:

بين المجاز المرسل، وعلاقته، فيما يلي:

1- تنبت أرض مصر ذهبا.

2- هذا خلق الله.

3- {لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ} .

4- حفرنا الماء "البئر".

5- قرأت شعر أبي العلاء.

6- ركبت القطار.

7- {وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ} .

8- يتخرج في المدرسة رجال نافعون.

تمرين ثان:

1- أصدق كلمة قالها لبيد:

ألا كل شيء ما خلا الله باطل

2- إذا الكماة تنحوا أن يصيبهم ... حد الظبات وصلناها بأيدينا[1]

3- كفى بالمرء عيبا أن تراه ... له وجه وليس له لسان

4- أحسن إلى الناس تستعبد قلوبهم ... فطالما استعبد الإنسان إحسان

5- ألا لا يجهلن أحد علينا ... فنجهل فوق جهل الجاهلينا

6- وليست أيادي الناس عندي غنيمة ... ورب يد عندي أشد من الأسر

7- تسيل على حد الظبات نفوسنا ... وليست على غير الظبات تسيل

8- ألما على معن وقولا لقبره ... سقتك الغوادي مربعا بعد مربع[2]

9- قال الحطيئة:

ندمت على لسان كان مني ... فليت بأنه في جوف عكم

تدريب مع الإجابة:

بين المجاز المرسل، وعلاقته فيما يلي:

1- إن العدو وإن تقادم عهده ... فالحقد باق في الصدور مغيب

2- {فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ}[3]

3- وإن حلفت لا ينقض النأي عهدها ... فليس لمخضوب البنان يمين

4- ولم يبق سوى العدوا ... ن دناهم كما دانوا

---

(1)- الظبات: جمع ظبة، حد السيف، والمراد هنا: السيف جميعه.

(2)- الغوادي جمع غادية، السحابة تنشأ غدوة، والمربع: المطر في الربيع

(3)- سورة الأنعام الآية: 5.

5- {وَالسَّماوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ}[1]

6- {كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى}[2]

7- {إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا}[3]

الإجابة:

1- في الصــدور مجاز مرســل مفرد، علاقته المحلية؛ لأن الصــدور محل القلوب التي تتأثر بالحقد وغيره.

2- في الأنباء مجاز مرســل، علاقته: التعلق الاشــتياقي، إذ الوعيد ليس بالنبأ بل بالمنبأ به، أي: المخبر به.

3- في كلمة البنان مجاز علاقته الجزئية، إذ المراد الكف، وكذا في يمين علاقته الســببية، إذ المراد: ليس لها وفاء بالمحلوف عليه.

4- في دناهم مجاز مرسل علاقته المسببية إذ المراد: جاز بناهم كما في المثل كما تدين تدان، أي: كما تفعل تجازى.

5- في كلمة يمينه، مجاز مرسل علاقته المحلية، إذ المعنى: بقوته وقدرته.

6- في كلمة القتلى، مجاز مرسل علاقته ما سيكون، إذ المراد: فيمن سيقتلون.

7- في كلمة نارا، مجاز مرسل علاقته المسببية؛ لأن أكل هذه الأموال يوصل إلى النار

(1)- سورة الزمر الآية: 67.

(2)- سورة البقرة الآية: 178.

(3)- سورة النساء الآية: 10

المطلب الثالث

المجاز العقلي

تعريف المجاز العقلي:

وهو المجاز الذي يكون في الإسناد أو التركيب، ويُسمّى كذلك: المجاز **الإسنادي**، والمجاز **الحُكمي**، والمجاز **المركّب**، وفي هذا النوع من المجاز تكون الألفاظ مستعملةً في معناها الحقيقي الأصلي، ويكون المجاز عن طريق إسناد كلمة إلى أخرى، بحيث يقضي العقلُ باستحالة هذا الإسناد على وجه الحقيقة، فيُفهم المرادُ من الكلام من جهة هذا المجاز العقلي.

المجازُ العقليُّ: هو إسـنادُ الفعلِ، أو ما في معناهُ (من اسـمِ فاعلٍ، أو اسـمِ مفعولٍ أو مصـدرٍ) إلى غير ما هو له في الظاهرِ، من حال المتكلِّمِ، لعلاقةٍ مع قرينةٍ تمنعُ من أن يكونَ الإسنادُ إلى ما هوَ لهُ.

وسُمِّي **عقلياً** لأن التجوز فُهِمَ من العقل لا من اللغة كما في المجاز اللغوي.

التوضيح:

إذا قلت مثلاً:

1- سالَ الماءُ من الوادي.

2- فاضَ الماءُ من الكأس.

3- محمدٌ قائمٌ ليلتَه.

ففي هذه الجُمل الثلاث، نجد أنَّ الإسناد في كلٍّ منها إسنادٌ حقيقي، فهو إسناد الفعل إلى فاعله الحقيقي، ألا ترى أنَّ إسناد (سالَ) و(فاضَ) إلى الماء إسناد حقيقي، وإسناد القيام إلى محمد إسناد حقيقي.

ولكنَّ الإيجاز في التعبير، والانتقال من الحقيقة إلى المجاز يكسـبان الكلام جمالاً وروعةً، فيمكننا مثلاً أن نقول:

1- سالَ الوادِي.

2- فاضَ الكأسُ.

3- ليلُهُ قائمٌ.

ففي هذه العبارات جميعها نجد أننا أسـندنا الفعل أو ما في معناه إلى غير فاعله؛ فإنَّ الكأسَ والوادي لم يسـيلا في المثال الأول والثاني، ولكن سـالَ الماءُ الذي فيهما، ومن هنا كان

المجاز عقليّاً، أمّا العلاقة التي جعلتْنَا ننتقل من المعنى الحقيقي إلى المجازي فهي فيما بين الماء وكلٍّ من النهر والكأس من صلةٍ وقُربٍ؛ إذ هما مكان الماء؛ فالعلاقة إذن مكانية.

وكذلك جملة (ليله قائم) في المثال الثالث، كان الإســناد فيها مجازيّاً؛ لأنَّ الليل لم يقم، وإنما يقوم الإنسـان، وكلمة (قائم) اسـم فاعل يدلّ على معنى الفعل، ومن هنا كان المجاز عقليّاً، أمّا العلاقة في قولنا: (ليله قائم) فهي الزمانية؛ لأنَّ الليلَ هو زمانُ القيام.

أقسام المجاز العقلي:

قسّم البيانيّون المجاز العقلي بالنظر إلى كون كلٍّ من طرفَيْه: (المُسْنَدِ) و(الْمُسْنَدِ إِلَيه) إلى أربعةِ أقسام:

القسم الأول: أن يكون الطرفان حقيقتين.

مثل: سَالَ الوادي.

فالمسند وهو فِعْلُ (سَال) حقيقة مستعملة فيما وُضعت له لغة وهو السَّيَلان، ولا مجاز فيه.

والمسند إليه وهو (الوادي) حقيقة مستعملة أيضاً فيما وضعت له لغة، ولا مجاز فيه.

لكنّ المجاز وقع في الإسناد وهو نسبة السيلان إلى الوادي، وهذا من المجاز العقلي.

ومثل قوله تعالى: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ} (سورة الأنفال: 2)

فالمسند وهو فِعْلُ (زَادَتْهُمْ) حقيقة مستعملة فيما وُضعت له لغة، ولا مجاز فيه.

والمسند إليه وهو (آيَاتُهُ) حقيقة مستعملة أيضاً فيما وضعت له لغة، ولا مجاز فيه.

فنسبت الزيادة إلى الآيات مجاز عقليّ، مع أنها فعل الله سبحانه لكونها سبباً لها على سبيل المجاز، علاقته السببيّة.

ومثل قوله تعالى: {إِذَا زُلْزِلَتِ الأَرْضُ زِلْزَالَهَا * وَأَخْرَجَتِ الأَرْضُ أَثْقَالَهَا} (سورة الزلزلة: 1،2)

فالمسند وهو فِعْلُ (أَخْرَجَتِ) حقيقة مستعملة فيما وُضعت له لغة، ولا مجاز فيه.

والمسند إليه وهو (الأَرْضُ) حقيقة مستعملة أيضاً فيما وضعت له لغة، ولا مجاز فيه.

والإسناد مجاز عقليّ، لأنّ الأرض ليست هي التي تُخْرِجُ أثقالها حقيقة.

القسم الثاني: أن يكون الطرفان مجازيَّيْن.

مثل: أحْيَا الأرضَ شبابُ الزّمَان.

فعل (أحْيَا) مجاز يُرادُ به الإنبات.

و(شَبَابُ الزَّمان) مجازٌ يُرادُ به الْفَصْل الذي تَنْبُتُ فيه الزّروع.

إذْ هو يشبه الشباب في الإنسان، وكلاهما استعارة.

وإسنادُ الإحياء إلى شباب الزمان مجازٌ عقلي، لأنّ الْمُنْبِتَ في الحقيقة هو الله.

وكقوله تعالى: {أُوْلَئِكَ الَّذِينَ ا شْتَرَوُاْ الضَّلاَلَةَ بِالْهُدَى فَمَا **رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ** وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ} (سورة البقرة: 16)

نفي الرِّبْح: مجاز عن عدم تحصيلهم نفعاً من أخذ الضلالة وترك الهدى.

تِّجَارَتُهُمْ: مجاز عن عملية أخذ الضلالة وترك الهدى.

وإسناد نفي الربح عن تجارتهم مجاز عقلي، إذ المنافقون هم الّذين لم يربحوا.

القسم الثالث: أن يكون المسند حقيقة والمسند إليه مجازاً.

مثل: أَنْبَتَ الْبَقْلَ شبابُ الزمان.

الإنبات: حقيقة.

وشبابُ الزمان: مجاز.

والإسناد مجاز عقلي، والملابَسَةُ السببيّة.

القسم الرابع: أن يكون المسند مجازاً والمسند إليه حقيقة.

مثل: أحيا الأرضَ الربيعُ.

فالمسند (أحيا) مجازٌ.

والمسند إليه (الربيعُ) حقيقة.

وإسناد (الإحياء) إلى (الربيع) مجاز عقلي.

وكقوله تعالى: {... حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا...} (سورة محمد: 4)

وضع الأوزار: مجاز عن انتهاء أعمال الحرب.

الحرْبُ: حقيقة.

وإسنادُ وَضْعِ الأوزار إلى الحرب مجازٌ عَقْلي.

علاقات المجاز العقلي:

عُنِيَ البلاغيون بعلاقات المجاز العقلي، إذ لو لا تلك العلاقات لعُدَّ الكلام لغواً أو هذراً، كما أنّهم أشاروا إلى أهميّة القرينة التي تدلُّ على المجاز، وتمنع إرادة الإسناد الحقيقي، ومن أشهر علاقات المجاز العقي ما يأتي:

1- العلاقة السببية:

وفيها يُسندُ الفعل- أو ما في معناه- إلى ما كان سبباً فيه، وليس إلى فاعله الحقيقي.

ومثال ذلك قوله تعالى: {وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا لَّعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ} (سورة غافر: 36)

فإســـناد البناء إلى هامان إســـناد مجازي؛ لأنّ هامان لم يقم بعملية البناء، بل قام به البناؤون، وهو سببٌ في البناء، ومُشرف عليه فقط، فكانت العلاقة بين المعنيين إذن هي السببية.

ومثل: يفعل المالُ ما تعجز عنه القوة.

فإسناد الفعل إلى المال إسناد غير حقيقي؛ لأن المال لا يفعل وإنما صاحبه هو الذي فعل، فهنا مجاز عقلي علاقته السببية، لأنّ المال هو الذي يدفع صاحبه إلى الفعل.

2- العلاقة المكانية:

وفيها يُسندُ الفعل- أو ما في معناه- إلى مكان الذي وقع فيه، وليس إلى الفاعل الحقيقي.

مثال ذلك قوله تعالى: {...وَجَعَلْنَا الأَنْهَارَ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمْ...} (سورة الأنعام: 6)

فإســـناد الجري إلى الأنهار إســـناد مجازي؛ لأنّ الأنهار لا تجري؛ وإنما يجري الماء الذي في الأنهار، فهذا مجاز عقلي علاقته المكانية.

وقوله تعالى: {أَنزَلَ مِنَ السَّمَاء مَاء فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا} (سورة الرعد: 17)

جاء في هذا النصّ إسناد السّيلان إلى الأودية، مع أنّه للماء فيها، والملابسة المكانيّة.

والغرض البياني الإشـــعار بأنّ الناظر إلى الأوديّة المغمورة بماء السّـــيول، يُخَيَّلُ إليه أنّ الوِدْيانَ تَسِيلُ أيْضاً مع المياه الّتي تسيل فيها.

3- العلاقة الزمانية:

وفيها يُسندُ الفعل- أو ما في معناه- إلى الزمان الذي وقع فيه، وليس إلى الفاعل الحقيقي.

ومثال ذلك قوله تعالى: {وَقَالَ الَّذِينَ اسْـتُضْـعِفُوا لِلَّذِينَ اسْـتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَن نَّكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَندَادًا} (سورة سبأ: 33).

فإســـناد المكر إلى الليل والنهار مجاز عقلي علاقته الزمانية؛ لأنهما الزمان الذي وقع فيه المكر.

وكقول الشاعر: لا تحسبنَّ سروراً دائماً أبداً ... مَنْ سرَّهَ زمنٌ ساءتْهُ أزمان

أسندَ الإساءةَ والسرورَ إلى الزمنِ، وهو لم يفعلْهما، بل كانا واقعينِ فيه على سبيلِ المجازِ، وعلاقته الزمانية.

4- العلاقة المفعولية:

وفيها يُستعمل اسم الفاعل بمعنى اسم المفعول.

ومثال ذلك قوله تعالى: {فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ} (سورة الحاقة: 21)

فالعيشة لا ترضى، وإنّما يرضاها المؤمنون في الجنة، ووصف العيشة بأنها راضية مجاز عقلي؛ لأنّها عيشة مرضية في الحقيقة، والعلاقة بين المعنيين إذن هي المفعولية.

وكقَوْلِ الحُطَيئَة:

دَعِ المكارِمَ لَا تَرْحَلُ لِبُغْيَتِها ... واقعُدْ فإنَّك أَنْتَ الطّاعِمُ الكَاسِي

فالمقصود هنا أقعد تعباً فأنت مطعوم ومكسوٌّ، ويقصد الشاعر أن يهجو لا أن يمدح؛ والكلام أُسنِد فيه وصف الفاعل إلى ضمير المفعول، والعلاقة المفعولية.

5- العلاقة الفاعلية:

وفيها يُستعمل اسم المفعول بمعنى اسم الفاعل.

ومثال ذلك قوله تعالى: {وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ حِجَاباً مَّسْتُوراً} (سورة الإسراء: 45)

فالحجاب على الحقيقة يكون ساتِراً؛ فهو مجاز عقلي، والعلاقة بين المعنيين إذن هي الفاعلية.

6- العلاقة المصدرية:

وفيها يُسندُ الفعل- أو ما في معناه- إلى المصدر من لفظه.

ومثال ذلك قوله تعالى: {فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ} (سورة الحاقة: 13)

فالفعل (نُفِخَ) المبني للمجهول لم يسند إلى نائب فاعله الحقيقي وإنما أسند إلى مصدره (نَفْخَةٌ) أي أسند إلى غير ما هو له لعلاقة المصدرية.

كقول أبي فراس الحمداني:

سَيَذْكُرُني قَوْمي إذا جَدّ جِدُّهُمْ ... وفي الليلة الظلماءِ يُفْتَقَدُ البدرُ.

فقد أ سندَ الفعل (جدَّ) إلى م صدره (الجِدِّ)، فجعل هذا الم صدر فاعلاً، وهو ليس كذلك؛ لأنّ الفاعل الحقيقي هو القوم، فالعلاقة بين المعنيين إذن هي المصدرية.

تدريب:

بين المجاز العقلي واذكر علاقته فيما يلي:

1- أهلكنا الليل، والنهار معا ... والدهر يغدو مصمما جذعا[1]

2- ستبدي لك الأيام ما كنت جاهلا ... ويأتيك بالأخبار من لم تزود

3- ولما رأيت الخيل تترى أثائجا ... علمت بأن اليوم أحمس فاجر[2]

4- وكل امرئ يولي الجميل محبب ... وكل مكان ينبت العز طيب

5- محا البين ما أبقيت عيون المها مني ... فشبت ولم أفض اللبانة من سني

6- سل الجيزة الفيحاء عن هرمي مصر ... لعلك تدري بعض ما لم تكن تدري

7- الدهر يفترس الرجال فلا تكن ... ممن تطيشهم المناصب والرتب

8- إن البلية من تمل كلامه ... فانقع فؤادك من حديث الوامق[3]

9-نعم المعين على المروءة للفتى ... مال يصون عن التبذل نفسه

10- ملكنا فكان العفو منا سجية ... فلما ملكتم سال بالدم أبطح

11- {أَوَلَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجْبَى إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ}[4]

12- {جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا}[5].

الإجابة:

1- إسـناد الإهلاك إلى الليل والنهار مجاز عقلي علاقته الزمانية؛ لأن الفاعل هو الله، وهذان زمنان له.

2- الأيام لا تظهر مجهولا، بل يظهر ذلك فيها، فهو مجاز عقلي، علاقته الزمانية.

3- وصف اليوم بالفجور مجاز، علاقته الزمانية؛ لأن الفجور صفة لما يقع فيه.

4- العز ينبت في المكان، ولا ينبته المكان، فهو مجاز عقلي، علاقته المكانية.

---

(1)- المصمم من الإبل الصابر على السير أو الماضي فيه، والجذع الشاب الحدث.

(2)- تترى: تتابع، والأثائج: الصائحات، والأحمس: الصلب الشديد، والفاجر: المنبعث في المعاصي

(3)- نقع بالشراب استشفى منه وكذا بالخبر.

(4)- سورة القصص الآية: 57

(5)- سورة الإسراء الآية: 45

5- إسناد المحو إلى البين مجاز عقلي، علاقته السببية؛ لأن البين لا يمحو شيئا بل هو سبب فيه.
6- الجيزة لا تسـأل، بل يسـأل أهلها، فوقوع السـؤال على الجيزة مجاز عقلي في النسـبة الإيقاعية والعلاقة المكانية، ويصح أن يكون في هذا مجاز بالحذف، أو مجاز مرسل
7- في إسناد يفترس إلى ضمير الدهر مجاز عقلي علاقته الزمانية، وفي إسناد تطيش إلى المناصب والرتب مجاز عقلي علاقته السببية.
8- في إسناد الوامق إلى المفعول مجاز علاقته المفعولية إذ المراد سر نفسك بمحادثة الموموق أي: المحبوب.
9- في إسناد الإعانة والصيانة إلى المال مجاز عقلي علاقته السببية.
10- في إسناد سال إلى الأبطح مجاز عقلي علاقته المكانية، إذ الدم سال فيه لا منه.
11- في إسناد الفاعل وهو آمن إلى المفعول وهو الحرم مجاز عقلي علاقته المفعولية.
12- في إسناد المفعول وهو مستور إلى الفاعل وهو الحجاب مجاز عقلي علاقته الفاعلة.

المبحث الثالث

الكناية

تعريف الكناية:

الكناية لغة:

هي مصدر كالهداية والعناية، وهي: أن تتكلم بالشيء وتريد به غيره، وتكنَّى: تستترَّ، ومنه الكُنيَة، وهي التي تقوم مقام الاسم أو اللقب.

الكناية في الاصطلاح:

لفظٌ أريد به غيرُ معناهُ الذي وُضِعَ له، مع جواز إرادةِ المعنى الأصليِّ، لعدم وجود قرينةٍ مانعة من إرادته.

أو: بأن تريد المعنى وتعبرِّ عنه بغير لفظه.

الإيضاح:

اتفق البلغاءُ على أنّ الكناية أبلغ من التصريح، وهي تشبه المجاز؛ إلا أن المجاز يمُنع فيه إرادة المعنى الأصلي، والكناية لا يمتنع فيها ثبوت المعنى الأصلي، ألا ترى حين تقول:

فلانٌ واسعُ الصدرِ.

كناية عن صبره وحِلْمِه؛ إنه يمكن أن يكون واسع الصدر حقيقةً، وحين تقول:

هو كثيرُ الرمادِ.

فهو كناية عن الكرم، فإن كثرة الرماد دليل على كثرة ما يُطبخ، والذهن يربط بين هذا وبين كثرة الضيوف.

وقولهم عن الطعام اللذيذ:

تأكُلُ أصابعك بعده.

فإنه يلزم منه لَعْقُ الأصابع، وعدم الشبع منه؛ لحلاوته لا لكفايته، ويلزم من ذلك: أنه في غاية اللّذة، والطعم.

ومثل: كنايات الطلاق، وهي الألفاظ التي لا تدلُّ بلفظها على الطلاق، كقول الرجل لزوجته: (**أمركِ بيدكِ**)، أو (**الْحقي بأهلِكِ**)، أو (**أنتِ عليَّ حرامٌ**)، أو (**اذهبي فتزوجي منْ شـــئتِ**)، أو (**خلَّيْتُ سبِيلَكِ**)، أو (**انتهى ما بيننا**).

وأما **المجاز** فلا يصحّ فيه إرادة المعنى الأصلي مطلقاً، ففي نحو:

خطب بنا اليوم بحرٌ. لا يصح أن يُراد معناه الأصلي.

وقد تكون الكناية في اللفظ المفرد:

كقوله تعالى: {وَأَصْـبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى **فَارِغًا** إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَن رَّبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ} (سورة القصص: 10)

فقد كنّى الله تعالى كلمة (فَارِغًا) عن ذهاب القلقِ والاضـطراب والخوف الذي لحق بأمِّ موسى بعد ولادته، فلمّا ألقته في اليمِّ بعث الله الطمأنينة في قلبها، فهي كناية لطيفة عن السكينة والطمأنينة.

وقد تكون الكناية في التركيب:

وهو كثير في كلام البلغاء.

كقوله تعالى: {وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ} (سورة لقمان: 18)

فتركيب (تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ) كناية عن التكبُّر.

وكقول النبي ﷺ: (أكثروا ذكرَ هادمِ اللذَّاتِ).

فقوله (هادمِ اللذَّاتِ) كناية عن الموت.

أركان الكناية:

للكناية ركنان أساسيان هما:

1- اللفظ الـمُكَـنَّى به: وهو اللفظ المذكور في التعبير، الذي يدلُّ على معنىً حقيقي، وآخر بعيد يكون هو المقصودُ.

2- المعنى الـمُكَـنَّى عنه: وهو المعنى المراد الذي يقصد المتكلم، ويكون خفيّاً ومستوراً، ولكنّه يفهم من خلال السياق وبمساعدة القرائن.

والعلاقة بين الركنين هي علاقة تلازم، أي أنّ اللفظ المكنّى به يلزم منه المعنى المكنّى عنه، ولا بدّ أن يضع المتكلّمُ قرينةً تدلّ على المعنى المراد، ولكنّها في الوقت نفسه لا تمنع من أن يكون المعنى الحقيقي مراداً أيضاً، ففي قولهم:

فلانةٌ نؤوم الضحى.

لا يمنع من أن تكون تلك المرأة المترفة كثيرة النوم في وقت الضحى على الحقيقة أيضاً.

أقسام الكناية:

جرى تقسيم الكناية عند البلاغيين بالنَّظر إلى أمرين:

1- نوع المعنى الْمُكنَّى عنه: **صفة**، أو **موصوف**، أو **نسبة**.

2- بحسب وضوح الكناية أو قربها أو بعدها: **التعريض**، و**الإشارة**، و**التلويح**، و**الرمز**.

أولاً: تقسيم الكناية بحسب المعنى الْمُكنَّى عنه:

تنقسم الكناية بحسب الْمُكنَّى عنه إلى ثلاثة أقسام:

1- كناية عن صفة:

أن تذكر الموصوف وتنسب له صفة، ولكنك لا تريد هذه الصفة؛ إنما تريد لازمها.

وكقوله تعالى: {وَلاَ تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلاَ تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا} (سورة الإسراء: 29)

في الآية كنايتان: الأول تركيب (يَدَكَ مَغْلُولَةً) كناية عن الشح والبخل، والثاني تركيب (تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ) كناية عن التبذير والإسراف.

وكقوله تعالى: {وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَى مَا أَنفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا} (سورة الكهف: 42)

قال بن عاشور في تفسيره التحرير والتنوير (15/ 327):

و(تَقْلِيبُ الْكَفَّيْنِ): حَرَكَةٌ يَفْعَلُهَا الْمُتَحَسِّرُ، وَذَلِكَ أَنْ يُقَلِّبَهُمَا إِلَى أَعْلَى ثُمَّ إِلَى قُبَالَتِهِ تَحَسُّرًا عَلَى مَا صَرَفَهُ مِنَ الْمَالِ فِي إِحْدَاثِ تِلْكَ الْجَنَّةِ. فَهُوَ كِنَايَةٌ عَنِ التَّحَسُّرِ.

قال حاتم الطائي:

إذا ما بَخيلُ الناسِ هَرَّتْ كِلابُهُ ... وَشَقَّ على الضَيفِ الغريب عَقورُها

فَإِنِّي جَبَانُ الكلبِ بَيْتِي مَوَطَّأٌ ... أَجود إذا ما النَفسُ شَحَّ ضَميرُها

ففي قوله (**جبان الكلب**) كناية عن صفة هي الكرم؛ لأن جُبنَ الكلبَ يستلزم أنه قد تعوّد على الضيوف وألِفَهُم، لكثرة تردّدهم على بيت صاحبه، فلم يعد ينبحُ في وجوههم، وهذا يدلُّ على الكرم ومحبّة استقبال الضيوف.

مثل: **اصفرّ وجهُ الطالبِ عند الامتحان.**

كناية عن الخوف.

حيث يستعمل الناس (اصفرار الوجه) كنايةً عن الخوف الشديد.

ومثل: **احمرَّ وجهُ الفتاةِ عندما رأتْ رجلاً**.

كناية عن الحياء.

حيث يستعمل الناس (احمرار الوجه) كناية عن الحياء والخجل.

ومثل: **زيد بيتُهُ مفتوحٌ**.

كناية عن الكرم.

حيث يستعمل الناس (بيتُهُ مفتوحٌ) كناية عن الكرم والسخاء.

ومثل: **محمد نظيفُ اليدِ**.

كناية عن العفة والأمانة.

حيث يستعمل الناس (نظافة اليد) كناية عن الطهارة والعفة والأمانة.

2- كناية عن الموصوف:

أن تذكر الصفة والنسبة ولا تذكر الموصوف الْمُكنَّى عنه، وذكر الصفة توصلك إلى الموصف المحذوف الْمُكنَّى عنه.

قوله تعالى: {فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَى وَهُوَ مَكْظُومٌ} (سورة القلم: 48)

فتركيب (**كَصَاحِبِ الْحُوتِ**) كناية عن موصوف هو نبينا يونس عليه السلام.

وكقوله تعالى: {وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ} (سورة القمر: 13)

فتركيب: (**ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ**)[1] كناية عن السفينةِ.

قال ابن عاشور في تفسيره التحرير والتنوير (27/ 184).

وَعَادَةُ الْبُلَغَاءِ إِذَا احْتَاجُوا لِذِكْرِ صِفَةٍ بِشَيْءٍ وَكَانَ ذِكْرُهَا دَالًّا عَلَى مَوْصُوفِهَا أَنْ يَسْتَغْنُوا عَنْ ذِكْرِ الْمَوْصُوفِ إِيجَازًا.

كما تقولُ: (**الناطقينَ بالضادِ**) كناية عن الموصوف العرب.

وتقولُ: (**دارُ السَّلام**) تكني عن الموصوف بغداد.

وتقولُ: (**مدينة طيبةُ**) كنايةٌ عن الموصوف المدينةِ المنورةِ.

وتقولُ: (**قابض يديهِ**) كناية عن موصوف البخيل.

وتقول: (**أبو الأنبياء**) كناية عن سيدنا آدم عليه السلام.

وتقول: (**خليل الله**) كناية عن سيدنا إبراهيم عليه السلام.

وتقول: (**كليم الله**) كناية عن سيدنا موسى عليه السلام.

وتقول: (**روح الله**) كناية عن سيدنا عيسى عليه السلام.

(1)- وَالْأَلْوَاحُ: جَمْعُ لَوْحٍ، وَهُوَ الْقِطْعَةُ الْمُسَوَّاةُ مِنَ الْخَشَبِ. وَالدُّسُرُ: جَمْعُ دِسَارٍ، وَهُوَ الْمِسْمَارُ.

3- كناية عن نسبة:

وهي أن تذكر الصفة والموصوف، إلا أنك بدلاً من أن تنسب هذه الصفة لصاحبها، تنسبها إلى شيء آخر يتعلّقُ بالموصوف.

مثال ذلك قولك: فلانٌ المجدُ بين ثوْبَيْهِ، والكرمُ بين بُرْديْهِ.

فأنت تريد أن تثبت له الكرمَ والمجدَ، وقد ذكرت هاتين الصفتين، ولم تنسبها إلى صاحبها، فلم تقل الكرم والمجد لفلان، وإنما نسبتها لشيئين آخرين متعلقين بالموصوف هما الثوبين والبردين.

قال الشاعر:

اليُمْنُ يتبعُ ظلَّهُ ... والمجدُ يمشي في ركابه[1]

فالشاعر في البيت لم ينسب البركة إلى الممدوح صراحة ولكنه تبع اليمن لظله، مما يدل على اتصافه بها.

ومن ذلك قول شوقي:

سكن الثُّريا مُستقرّ جلالِه ... ومشتْ مكارمُه إلى الأمصار

يريد الشاعر أن ينسب إلى ممدوحه الكرم، لكنه بدل أن ينسب إليه الكرم بصريح اللفظ، كنَّى عن نسبة الكرم إليه بقوله: (ومشتْ مكارمُه إلى الأمصار)، لأنه يلزم من ذلك اتصافه به.

نحو قولنا عن شخص: (العزُّ في بيتهِ) فإن العزَّ ينسبُ للشخصِ وليس للبيت.

ثانياً: تقسيم الكناية بحسب وضوح الكناية أو قربها أو بعدها:

1- التعريض:

التعريضُ: لغةً خلافُ التصريح.

وقد عرّفه ابن الأثير في الاصطلاح فقال: هو اللفظ الدالُّ على الشيء من طريقِ المفهومِ لا بالوضع الحقيقي ولا المجازي.

---

(1)- أي: يتبعه.

كقوله تعالى: {فَقَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قِوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلاَّ بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلاَّ الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ} (سورة هود: 27)

ففي هذه الآية تعريض بكونهم أحقَّ بالنبوة منه، وأنّ نبي الله شـعيباً لم يكن متميِّز عنهم بمزية يستحقُّ عليها النبوة.

ومن أمثلة التعريض ما رُوي عن الصـحابيِّ الجليل قيس بن سـعد رضي الله عنه- وكان كريماً- أنّ امرأةً جاءته فقالت: **أشـكو إليك قلَّة الفأر في بيتي**. فقال: ما أحسـن ما رَوَتْ عن حاجتها، املأوا لها بيتها خبزاً وسمناً ولحماً.

فقد دلّ مفهوم قولها: (**قلَّة الفأر في بيتي**) علّة فقرها وحاجتها إلى الإعانة.

ومثال ذلك: والله إني لمحتاج، وليس في يدي شيءٌ، وأنا عريان، والبردُ قد آذاني.

فهـذا تعريض بـالطلـب من المخـاطـب، وفُهم المعنى من خلال السـيـاق، ومن طريق المفهوم.

وكقول المتنبي:

إذا الجُودُ لم يُرْزَقْ خَلاصاً من الأذَى ... فَلا الحَمدُ مكسوباً وَلا المالُ باقِيَا

يلاحظ أن المعنى المفهوم العام يصلح أن يقال لكل من يفسد عطاياه بأذى من يعطيهم كالْمَنِّ عليهم مثلاً، فإذا فعل ذلك فقد أتلف ماله، ولم يكسـب حمداً، لأن جوده لم يخلص من الأذى، وهذا هو المعنى الصريح للبيت، إلا أن المتنبي كان يشير إلى معنى آخر وكأنه يرى أن جود سـيف الدولة فاسـد، لأن الأعمال التي تبعت عطاياه أسـاءت إلى من خصـهم بالمنح والإكرام، وألحق بهم الأذى.

الأغراض البلاغية للتعريض:

يأتي التعريض للدلالة على عدّة أغراض بلاغية منها:

(أ)- التعظيم وإعلاء القدر:

كقوله تعالى: {تِلْكَ الرُّسُـلُ فَضَّـلْنَا بَعْضَـهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِّنْهُمْ مَّن كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَـهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ...} (سورة البقرة: 253).

ففي عبارة: {وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ} تَعْرِيضٌ بارْتفاعِ مُحَمّد خاتم الرُّسُلِ دَرَجَاتٍ على سائر الرُّسـل، ولمْ يَأْتِ هذا البيان بعبارةٍ صريحةٍ فيها نصٌّ على ارتفاع منزلته فوق سـائر الأنبياء والمرسَـلِين تعليماً للمسـلمين أن يتأدّبوا مع جميع الرُّسـل ولا يَتَّخِذُ من أفضـليّة محمّد ﷺ ذريعةً

للتنافُسِ والتفاخُرِ به على سائر الأمم، فمثل هذا قد يولّد شقاقاً، ويَصُدُّ أتباع الرسُل السابقين عن اتّباع محمّد خاتم المرسـلين، ولعامّة الناس في تعبيراتهم الدّارجات والمبتكرات تعبيراتٌ هي من أمثلة التعريض، وهي كثيرة.

(ب)- الملاطفة في الخطاب:

كقول الخاطِب لمنْ يريد خطبتها: **إنّك لجميلة صـالحة، وعسى الله أن ييسِّر لي امرأة صالحة**.

(ج)- الاستعطاف:

كما يقول المحتاج: جئتك لأسلم عليك، ولأنظر إلى وجهك الكريم:

أروح لتسليم عليك وأغتدي ... وحسبك منِّي بالسلام تقاضينا.

(د)- التوبيخ والملامة:

قال تعالى: {وَإِذَا الْمَوْؤُودَةُ سُئِلَتْ * بِأَيِّ ذَنبٍ قُتِلَتْ} (سورة التكوير: 8، 9)

وهذا للإهانة والتوبيخ.

(هـ)- الاحتراز عن المخاشنة:

كما تقول: **المسلم من سلم المسلمون من لسانه**. في التعريض بمن يؤذي المسلمين.

2- التلويح:

التلويح لغة: أن تشير إلى غيرك عن بُعد.

التلويح عند البلاغيين: نوع من الكناية تكون فيه المسـافة بين اللفظ الْمُكنَّى به والمعنى الْمُكنَّى عنه بعيدة وكثيرة الوسائط.

ومن أمثلة التلويح قولك: **فلان كثير الرماد**.

وهي كناية عن الكرم، وقد فُهم هذا المعنى بعد المرور بوسـائط عدَّة: كثرة الإحراق تحت القِدْرِ، ثم إلى كثرة الطبائخ، ثم إلى كثرة الآكلين، ثم إلى كثرة الضيوف، ثم الوصول إلى المعنى المقصود وهو كثرة الكرم.

وكقول الشاعر: وما يكُ فيَّ مِن عيبٍ فإنِّي ... جَبَانُ الكلبِ مَهْزولُ الفصيلِ[1]

كنَّى عن كرم الممدوحِ بكونه جبانَ الكلب، مهزولَ الفصـــيلِ، فإنَّ الفكرَ ينتقلُ إلى جملة وسائط.

فإن ا لذهن ينتقل من جبن الكلب عن الهرير[2] في وجه من يقصـــد دارا هو مقيم على حراســـتها، مع أن ذلك ليس من طبعه، إلى أنه قد دام زجره وتأديبه حتى تغير عن مجرى عادته، ثم إلى اســـتمرار موجب نباحه وهو اتصـــال مشـــاهدته وجوها إثر وجوه، ومن ذا إلى كونه ملجأ للقاصي وللداني، ومن ذا إلا أنه مشهور بحسن قرى[3] الأضياف.

وكذا مهزول الفصـــيل هو ولد الناقة، وهزاله بحرمانه من لبنها؛ لنحرها للضـــيوف أو إطعامهم لبنها، إيثار الضيوف بها على الفصيل.

نحو: **أولئك قوم يوقدون نارهم في الوادي**.

كناية عن بخلهم، فقد انتقل من الإيقاد في الوادي المنخفض، إلى إخفاء النيران، ومن هذا إلى عدم رغبتهم في اهتداء ضيوفهم إليها، ومن ذا إلى بخلهم.

3- الرمز:

الرمز لغةً: أنْ تشيرَ إلى قريبٍ منكَ خِفيةً، بنحو: شفةٍ، أو حاجبٍ.

واصطلاحاً: هو الذي قلَّتْ وسائطُه، مع خفاءٍ في اللزوم بلا تعريضٍ.

نحو : **فلانٌ عريضُ القفا**[4]. كناية عن بلادته وبلاهته[5].

نحو: **هو مُكتنزُ اللحمِ**. كنايةٌ عن شجاعتِه.

ونحو: **متناسبُ الأعضاءِ**. كنايةٌ عن ذكائهِ.

ونحو: **غليظُ الكبدِ**. كنايةٌ عن القسوةِ.

4- الإشارة:

هو الذي قلَّتْ وسائطُه، مع وضوحِ اللزوم، بلا تعريضٍ.

مثل قوله عز وجل: {**فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ** لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ} (سورة الرحمن: 56)

قوله: **(فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ)** إشارة إلى عفافهن.

---

(1)- (الهرير) صوت الكلب دون النباح.

(2)- (الفصيل) هو ولد الناقة (الناقة) الأنثى من الإبل.

(3)- قرى: ما يقدم إلى الضيف.

(4)- القفا: مؤخر العنق.

(5)- بليد: ضعيف الذكاء. أبله: من كان بعقله ضعف- أحمق.

وقوله سبحانه: {مَّا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلاَنِ الطَّعَامَ انظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الآيَاتِ ثُمَّ انظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ} (سورة المائدة: 75)

قوله: (**كَانَا يَأْكُلاَنِ الطَّعَامَ**) كناية عن قضاء الحاجة.

تمرين أول:

بين الكناية وأنواعها باعتبار المكنى عنه وباعتبار الوسائط فيما يلي:

1- وإن حلفت لا ينقض النأي عهدها ... فليس لمخضوب البنان يمين

2- قال الحجاج: إن أمير المؤمنين نثر كنانته عودا عودا فوجدني أمرها ضرب عودا وأصابها مكسرا فرماكم بي، والله لأحزمنكم حزم السلمة ولأضربنكم غرائب الإبل.

3- ولا زال بيت الملك فوقك عاليا ... تشيد أطناب له عمود

4- تقول التي من بيتها خف محملي ... عزيز علينا أن نراك تسير

5- أفاضل الناس أغراض لذا الزمن ... يخلو من الهم أخلاهم من القطن

6- يبيت بمنجاة من اللؤم بيتها ... إذا ما بيوت بالملامة حلت

الإجابة:

1- في مخضوب البنان كناية عن موصوف، وهي المرأة، إذ هذه من صفاتها الخاصة بها، من نوع الإيماء؛ لأن الذهن ينتقل إلى ذلك بلا واسطة.

2- في هذه العبارة كنايات ثلاث:

أ- ففي قوله: نثر كنانته إلى قوله فرماكم بي كناية عن صفة هي البحث والتفتيش عن الأصلح حتى عثر عليه، وهي من نوع التلويح؛ لأن الذهن ينتقل من نثر الكنانة إلى البحث والتفتيش عن أصلح سهامها، ومن ذا إلى العثور على ذلك الأصلح، ومن ذا إلى اختياره من بينها ثم إرساله إليهم لتدبير شئونهم.

ب- وفي قوله: لأحزمنكم حزم السلمة كناية عن صفة هي الضغط عليهم والبطش بهم من نوع الإيماء.

جـ- وفي قوله: لأضربنكم إلخ كناية عن صفة هي القسوة في معاملتهم والتنكيل بهم، وهي من نوع الإيماء.

3- وفي هذا البيت كناية عن نسبة هي اتصافه بالملك؛ لأن الذهن ينتقل من ملازمته بيت الملك وحلوله في ذلك المكان إلى كونه ملكا، وهي من نوع الإيماء

4- كنى أبو نواس بقوله: من بيتها خف إلخ عن موصوف، وهي امرأته؛ لأن الراحلة إنما تخف من بيت صاحبها في العادة، فهي كناية عن موصوف، وهي امرأته؛ لأن الراحلة إنما تخف من بيت صاحبها في العادة فهي كناية عن موصوف من نوع الإيماء لعدم الوسائط.

5- في قوله: أخلاهم من الفطن كناية عن موصوف وهم الجهال، وهي من نوع الإيماء.

6- في هذا البيت كناية عن نسبة هي إثبات النزاهة لها، ونفي الفجور عنها ذاك أنه نبه بنفي اللوم عن بيتها على انتفاء أنواع الفجور عنها، ومن ذا إلى براءتها من كل ما يشينها، وهي من نوع الإيماء

تمرين ثان:

بين أنواع الكناية من حيث المكنى عنه ومن حيث الوسائط:

1- قال ز ياد بن أبيه: وإني لأقسم بالله لآخذن الولي بالمولى، والمقيم بالظاعن، والمطيع بالعاصي، حتى يلقى الرجل قاتل أبيه فيقول: "انج سعد فقد هلك سعيد"[1]، أو تستقيم لي قناتكم[2].

2- {وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ، تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِمَنْ كَانَ كُفِرَ}[3].

3- وأقبلت يوم جد البين في حلل ... سود تعض بنان النادم الحصر[4]

4- أريد بسطة كف أستعين بها ... على قضاء حقوق للعلا قبلي

5- لا أمتع العوذ بالفصال ولا ... أبتاع إلا قريبة الأجل[5]

6- فصبحهم وبسطهم حرير ... ومساهم وبسطهم تراب

الإجابة:

1- في هذه المقالة كنايات عدة، فقد كنى بقوله: انج سعد إلخ، عن الفرار والهرب، وهي نوع من التلويح لكثرة الوسائط فيها إذ ينتقل الذهن من قولهم هذا إلى السبب الباعث على ذلك، وهو الخوف من الفتك بهم، ومن ذا إلى أخذ عدتهم للهرب، تباعدا عن التنكيل بهم، إلى الهرب وهو المراد، وكنى با ستقامة القناة عن حسن سيرهم واعتدالهم في أمورهم، وهي كناية عن صفة من نوع الرمز.

2- كنى الله تعالى بذات الألواح والدسر عن السفينة، إذ ذاك وصف خاص بها، فهي كناية عن موصوف من نوع الإيماء، وكنى بقوله: تجري بأعيننا عن شمول لطفه وعنايته بها، وهي كناية عن صفة من نوع التلويح لوجود الوسائط إذ ينتقل الذهن من النظر إليه، إلى مراقبتها، ومن ذا إلى الاهتمام بها، ومنه إلى العناية بها.

3- كنى بعض بنان الندم عن الأسف على فوات المرغوب فيه، فهو كناية عن صفة من نوع الإيماء.

4- كنى ببسطة الكف عن الغنى، فهو كناية عن صفة من نوع الإيماء، إذ ينتقل الذهن من بسطة الكف، إلى مثلها بالمال، إلى الغنى.

---

(1)- مثل أصله أسعد أم سعيد يضرب للفشل أو الظفر بالبغيه.

(2)- القناة الرمح، والعصا المستوية.

(3)- الدسر جمع دسار وأصله خيط من ليف تشد به ألواح السفينة "سورة القمر".

(4)- الحصر: البخيل.

(5)- العوذ جمع عائذ الحديثة النتاج من الظباء والإبل، والفصال جمع فصيل ولد الناقة

5- في هذا البيت كنايتان عن صفتين من نوع التلويح، الأولى كناية عن نحو الفصال، والثانية كناية عن أنه مضـــياف، ذاك أن الذهن ينتقل من عدم إمتاعها إلى أنه لا يبقى لها فصـــالها لتأنس بها، ويحصل لها الفرح الطبيعي بالنظر إليها، ومن ذا إلى نحرها، وكذا ينتقل من قرب أجلها إلى نحرها، ومن ذا إلى أنه مضياف.

6- في هذا البيت كنايتان عن صـــفتين، وهما العز والذل، ومن نوع التلويح إذ كنى بكون بســـطهم حريرا عن عزتهم إذ ينتقل الذهن من إحرازهم الرياش والأثاث الفاخر إلى غناهم ومن ذا إلى كونهم أعزاء، وكنى بكون بسطهم ترابا عن ذلهم، إذ ينتقل الذهن من افتراش التراب إلى ضياع ما يملكون، ومن ذا إلى كونهم أذلاء

وآخر دعوانا إن الحمد لله رب العالمين

المصادر والمراجع

1- بحوث منهجية في علوم البلاغة العربية: ابن عبد الله أحمد شـــعيب، دار ابن حزم، الطبعة الأولى، 1429 هـ- 2008 م.

2- البلاغة العربية أســـسـها وعلومها وفنونها: عبد الرحمن حبنكة الميداني، دار القلم- دمشـــق، الدار الشامية- بيروت، الطبعة الأولى، 1416 هـ- 1996 م.

3- البلاغة العربية- مقدمات وتطبيقات: د. بن عيسىـــ با طاهر، دار الكتاب الجديد المتحدة، الطبعة الأولى، 2008 م.

4- البلاغة الميسرة: د. عبد العزيز بن علي الحربي، دار ابن حزم، الطبعة الثانية، 1432 هـ- 2011 م.

5- البلاغة فنونها وأفنانها (علم البيان والبديع): د. فضـــل حســـن عباس، دار الفرقان، الطبعة الثامنة، 2005م.

6- تسهيل البلاغة: فيصل بن عبدة قائد الحاشري، دار القمر- دار الإيمان، 2006 م.

7- تيسير البلاغة (علم البديع): د. أسامة البحيري، كلية آداب جامعة طنطا، 1427 هـ- 2006 م.

8- جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع: السيد أحمد الهاشمي، المكتبة العصرية، بيروت.

9- دروس البلاغة العربية نحو رؤية جديدة: الأزهر الزناد، المركز الثقلفي، الطبعة الأولى، 1992 م.

10- علم البديع: د. محمود أحمد حســـن المراغي، دار العلوم العربية- بيروت، الطبعة الأولى، 1411هـ- 1991م.

11- علم البيان: د. عبد العزيز عتيق، دار النهضة العربية- بيروت، 1405 هـ- 1985 م.

12- علوم البلاغة (البيان والمعاني والبديع): أحمد مصـــطفى المراغي، دار الكتب العلمية- بيروت، الطبعة الثالثة، 1414 هـ- 1993 م.

13- فن البديع: د. عبد القادر حسين، دار الشروق، الطبعة الأولى، 1403 هـ- 1983 م.

14- الكافي في البلاغة (البيان والبديع والمعاني): أيمن أمين عبد الغني، دار التوفيقية- القاهرة، الطبعة الحديدة.

15- مدخل إلى البلاغة العربية (البيان والمعاني والبديع): د. يوسـف أبو العدوس، دار الميسرـة، الطبعة الأولى، 1427 هـ- 2007 م.